مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: أثر القيم في نهضة المجتمع، ودور الادارة العليا في إيجادها وتوجيه المجتمع نحوها: النهضة الأوربية والنهضة اليابانية نموذجا
اسم الكاتب: محمد شريف مشوح
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/9067
تاريخ الاسترداد: 2026/05/13 01:00 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

عدد B

المجلد 17، العدد 1
شوال 1441 هـ / يونيو 2020م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 2339-1996

يونيو 2020م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 17 العدد 1 (B)
https//:doi.org/10.36394/jhss/17/1B/13

أثر القيم في نهضة المجتمع، ودور الإدارة العليا في إيجادها وتوجيه المجتمع نحوها: النهضة الأوربية والنهضة اليابانية نموذجاً

محمد شريف مشوّح[1]

تاريخ الاستلام: 26-11-2019 **تاريخ القبول: 08-03-2020**

ملخص البحث:

هدفت الدراسة إلى: التعريف بالقيم الجوهرية التي قامت عليها كلاً من النهضة الأوربية والنهضة اليابانية، وبيان دور الإدارة العليا (الإدارة السياسية، ونخبة المجتمع) في إيجاد وتوظيف تلك القيم المجتمعية في سبيل نهضة المجتمع، وتجلية النواحي التي يجب على تلك الإدارات توجيه أفراد المجتمع نحوها، في سبيل تحقيق نهضة مجتمعاتها والدخول في الفعل الحضاري الإنساني.

وقد استخدم الباحث في دراسته: المنهج الوصفي باعتباره المظلة الجامعة لعدّة مناهج، ولاسيما المنهج الاستقرائي الذي أفاد منه الباحث في تتبّع بعض النهضات الحديثة، والمنهج التاريخي في دراسة وتحليل النهضتين الأوربية واليابانية خصوصاً، والمنهج التحليلي الذي يعدّ أحد أدوات المنهج الوصفي، وذلك في تحليل النماذج النهضوية محل الدراسة، والنظر في العلاقة بين إدارة النهضة والقيم المجتمعية الجوهرية، فضلاً عن المنهج الاستنباطي الذي تم من خلاله بلورة بعض قيم النهضة.

وقد وصلت الدراسة إلى عدّة نتائج، كان أهمّها: أن للمجتمعات قيماً «جوهرية توحيدية» لها أثرها البالغ في دفعها نحو نهضتها، وأن قيمة «الحرية» هي القيمة الجوهرية التي قامت عليها النهضة الأوربية، بينما قامت النهضة اليابانية على قيمة «المساواة» كقيمة جوهرية توحيدية للمجتمع الياباني.

كما كشفت الدراسة عن دور الإدارة العليا المتمثلة بالقيادة السياسية ونخبة المجتمع في: إيجاد وتوظيف القيم الجوهرية التوحيدية في مجتمعاتها، كذلك استعرضت الدراسة نواحي التوجيه التي يجب على الإدارة توجيه أفراد مجتمعها نحوها؛ لتحقيق نهضة مجتمعاتها.

وختم الباحث دراسته بالتوصية بـ: ضرورة دراسة مسارات نهضة المجتمعات المتقدّمة، واكتشاف القيم التي قامت عليها وظروف نشأتها، ودراسة دور إداراتها العليا في إيجادها وتطبيقها؛ للاستفادة من التجارب السابقة في نهضة الشعوب النامية.

الكلمات الدالة: القيم، الإدارة العليا، النهضة، النهضة الأوربية، النهضة اليابانية.

(1) أكاديمية الدراسات الإسلامية - جامعة ملايا (كوالالمبور - ماليزيا)
msk69@outlook.ae

المقدمة:

في لحظة تاريخية حاسمة يوضع مستقبل الشعوب على المحك، فيكون الخيار أمامها بين: الإقامة على التخلّف والجهل والفقر والتبعية والعيش على هامش الحياة، وبين نهضة مجتمع حرٍّ مستقلٍّ تضعه في ركب الحضارة الإنسانية ومقدّمتها.

ورغم الإمكانية المادية والقيمية والرصيد الحضاري والماضي التليد الذي تمتلكه بعض الشعوب والمجتمعات الإنسانية، والتي تؤهلها كمعطيات منطقية للإمساك بدفّة الحضارة - لو تهيّأت لها إدارة عليا راشدة واعية - نراها في الواقع ترفل في الجهل والتخلّف والتبعية، في حين قامت شعوب من تحت الركام بنهضة باهرة في مدة وجيزة، عندما تهيّأت لها الإدارة العليا الراشدة والجادّة، والتي جمعتها على قيم مجتمعية وحّدتها بها، ووجّهتها بحكمة وتخطيط نحو نهضتها، فانطلقت بها وهي تسابق الأمم نحو الحضارة والمدنية.

ومن خلال استقراء التاريخ واستقصاء أخبار الشعوب يستفيد العقلاء العِبَر ويحاكون التجارب، لينهضوا بأممهم، فيعملوا على إدراج مجتمعاتهم في الفعل الحضاري الإنساني الفاعل، وسوقهم في مسيرة الحضارة الإنسانية.

وعليه: فقد أثارت المعطيات المنطقية المذكورة أعلاه في ذهن الباحث إشكاليةً رآها جديرةً بالبحث والدراسة، فوجد في استقراء وتحليل التجربتين النهضويتين: الأوربية واليابانية مثالًا لشعوب خرجت من الظلمات إلى النور، ومن التخلف إلى التقدّم والنهضة والمشاركة الإنسانية الفاعلة في مسيرة الحضارة الإنسانية، وذلك عندما تهيأت لها إدارة سياسية عليا ونخبة مجتمعيّة ملكا الإرادة الصادقة، فدأبا على تفعيل القيم الاجتماعية، وجدّا في إيجاد القيمة الاجتماعية التوحيدية الجامعة النابعة من صميم ثقافة تلك المجتمعات!!.

وقد بسط الباحث بحثه في تمهيد عرض فيه العقبات التي تحول دون نهضة بعض الدول المتخلفة، ومدى قدرتها على الاستفادة من التجارب النهضوية السابقة كمدخل وتوطئة للبحث، ثم عرض في مبحثه الأول: التعريف بالقيم، والقيم الجوهرية، وعرض لقيم النهضة الأوربية، ودور الإدارة العليا في إيجادها وتوظيفها في النهضة، وذلك من خلال عرض النموذج الليبرالي (الغربي) الذي اعتمدته المجتمعات الأوربية في نهضتها، ليأتي بعدها في مبحثه الثاني على عرض قيم النهضة اليابانية، ودور الإدارة العليا في إيجادها وتوظيفها في النموذج الياباني، وفي المبحث الثالث: عرض الباحث لنواحي توجيه أفراد المجتمع في سبيل تحقيق النهضة، والتي نظّر لها المفكر الإسلامي: مالك بن نبي في كتابه: شروط النهضة، ثم قام الباحث بإسقاط النظرية على التطبيقات النهضوية في التجربتين الأوربية واليابانية، وأما المبحث الرابع، فقد عقد الباحث فيه في مطلبين: المقارنة بين التجربتين

الأوربيـة واليابانيـة؛ لاسـتخلاص أوجـه التبايـن والتوافـق بينهمـا، ثـم عـرض باختصـار شـديد لمـدى اسـتفادة بعـض الـدول العربيـة والإسـلامية مـن التجربتيـن فـي نموذجيـن مختلفيـن: «النمـوذج الماليـزي، والنمـوذج العربـي».

أهمية البحث: تنبع أهمية البحث من جانبين:

1. مـن الفائـدة التـي سـيقدّمها للدراسـات النهضويـة والمهتمّيـن بنهضـة الشـعوب والمجتمعـات، وإلـى الإدارات العليـا فـي معالجـة ظاهـرة التخلّـف وسـبل تجـاوز النكبـات التـي تعانـي منهـا أغلـب دول العالـم الثالـث والعالـم الإسـلامي خصوصًـا، وذلـك مـن خـلال عـرض بعـض جوانـب التجربتيـن النهضويتيـن: الأوربيـة واليابانيـة باختصـار، باعتبارهمـا نموذجيـن نهضوييـن يمكـن محاكاتهمـا والاسـتفادة مـن تجربتهمـا، والتـي قامـت إداراتهـا بإيجـاد وتوظيـف قيـم مجتمعيـة توحيديـة نابعـة مـن بيئتهـا، سـاهمت فـي نهضـة مجتمعاتهـا المنكوبـة بالتخلـف أو الحـرب أو الفقـر أو الفسـاد أو الاسـتبداد.
2. كمـا تظهـر أهميـة البحـث أيضًـا فـي: إبـراز قـدرة الإدارة العليـا للمجتمـع –إن توفـرت لديهـا الإرادة الحقيقيـة للقيـام بالنهضـة- علـى تطويـر المجتمعـات الإنسـانية وحـلّ مشـاكلها والقيـام بنهضتهـا، وفـي طـرح واسـتعراض نواحـي التوجيـه التـي يجـب علـى إدارة المجتمـع العليـا توجيـه أفـراد مجتمعهـا نحوهـا، فضـلاً عـن عـدم وجـود دراسـات وافيـة فـي ذات الموضـوع.
3. أنـه اسـتعرض باختصـار نموذجًـا واقعيًـا يبـرز اسـتفادة إحـدى الـدول الإسـلامية مـن محـاكاة التجربتيـن النهضويتيـن محـل الدراسـة: «النهضـة الماليزيـة نموذجـاً»، ومقابلتهـا بأسـباب فشـل التجربـة العربيـة فـي تحقيـق نهضتهـا.

إشكالية البحث:

تعانـي كثيـر مـن الشـعوب الناميـة، أو مـا يسـمى بـ: دول العالـم «الثالـث» عمومًـا، والعالـم الإسـلامي خصوصًـا مـن نكبـات: الجهـل والفقـر والفسـاد والحـروب والاسـتبداد؛ الأسـباب التـي جعلتهـا فـي مؤخـر الركـب الحضـاري فـي موكـب المسـيرة الإنسـانية، بـل وفـي قائمـة الاسـتعمار الفكـري والمـادي للقـوى العالميـة القاهـرة، رغـم الإمكانيـات الماديـة والمعنويـة، والرصيـد الحضـاري التاريخـي الـذي تتمتـع بهـا تلـك الشـعوب، الأمـر الـذي يدفـع إلـى السـؤال: مـا السـبيل لنهضـة هـذه الشـعوب ويقظتهـا وقيامهـا مـن سـباتها الـذي أقـام بهـا معزولـةً خـارج الفعـل الحضـاري الإنسـاني ومسـيرة الحضـارة الإنسـانية؟ فـي حيـن قامـت دول مـن رقادهـا، ونفضـت عنهـا غبـار ضعفهـا عندمـا توفّـرت لهـا إدارة سياسـية عليـا راشـدة وحّـدت قيـم مجتمعاتهـا، وحفّـزت طاقاتهـا، واسـتثمرت إمكانياتهـا، ووجّهـت أفـراد مجتمعاتهـا بأمانـة وشـفافية وتخطيـط

نحو مناحي النهوض، مثل: التجربتين النهضويتين: الأوربية واليابانية اللّتين يعرضهما الباحث نموذجًا في دراسته عبر عرض وتحليل المضامين القيمية، والنظر في البنية الاجتماعية والسياسية، وفي المراحل التاريخية التي مرّت بها التجربتان النهضويتان محل الدراسة والبحث.

أسئلة البحث: وقد انبثق من الإشكالية المذكورة عدّة أسئلة، كان البحث إجابة عنها، وهي:

1. ما القيم التي قامت عليها النهضتان: الأوربية واليابانية؟
2. ما دور الإدارة العليا، أو «الإدارة السياسية» ودور النخبة في إيجاد وتوظيف القيم الجوهرية التي قامت عليها النهضتان الأوربية واليابانية؟
3. ما النواحي التي يجب على الإدارة العليا توجيه أفراد المجتمع نحوها في سبيل تحقيق نهضة مجتمعاتها؟
4. ما أوجه التباين والاتفاق في مجال المقارنة بين التجربتين النهضويتين: الأوربية واليابانية، وما مدى استفادة بعض الدول الإسلامية من التجربتين في تحقيق نهضتها أو في فشلها؟

أهداف البحث: وقد تلخّصت أهداف البحث فيما يلي:

1. التعريف بالقيم التي قامت عليها النهضة الأوربية والنهضة اليابانية.
2. بيان دور الإدارة العليا أو «الإدارة السياسية ونخبة المجتمع» في إيجاد وتوظيف قيم مجتمعية جوهرية تسهم في نهضة المجتمع، وذلك من خلال استعراض التجربتين النهضويتين: الأوربية واليابانية.
3. بيان وتجلية النواحي التي يجب على الإدارة العليا توجيه أفراد المجتمع نحوها في سبيل تحقيق نهضة مجتمعاتها.
4. المقارنة بين التجربتين النهضويتين: الأوربية واليابانية، واستعراض أوجه التباين والاتفاق بينهما، وعرض مختصر لاستفادة بعض الدول الإسلامية من التجربتين محل الدراسة في تحقيق نهضتها: «نهضة ماليزيا أنموذجًا» في مقابلة مع أسباب فشل التجربة العربية في تحقيقها.

فرضية البحث:

يفترض البحث بديهية إمكان قيام نهضة شاملة لأيّ من المجتمعات المنكوبة والمتخلفة، إذا توفّرت لها الإدارة السياسية النزيهة المؤهلة فكريًّا ومهنيًّا، إن عملت تلك الإدارة بجدٍ وإخلاصٍ على إيجاد قيم توحيدية نابعة من طبيعة وثقافة وبيئة وتاريخ مجتمعاتها، ودأبت بحق وصدق على توظيفها في نهضة مجتمعية شاملة.

منهج البحث:

وقد اقتضت طبيعة الدراسة الاستعانة بالمنهج الوصفي [1]، باعتباره المظلة الجامعة لعدّة مناهج، ولاسيما المنهج الاستقرائي [2] الذي أفاد منه الباحث في تتبّع بعض النهضات الحديثة، والمنهج التاريخي [3] في دراسة وتحليل النهضتين الأوربية واليابانية خصوصاً، والمنهج التحليلي [4] الذي يعدّ أحد أدوات المنهج الوصفي، وذلك في تحليل

النماذج النهضوية محل الدراسة، والنظر في العلاقة بين إدارة النهضة والقيم المجتمعية الجوهرية، فضلاً عن المنهج الاستنباطي [5] الذي تمّ من خلاله بلورة بعض قيم النهضة.

---

(1) **المنهج الوصفي:** هو الذي يقوم على دراسة وتحليل وتفسير الظاهرة من خلال تحديد خصائصها وأبعادها وتوصيف العلاقات القائمة بينها بهدف الوصول إلى وصف علمي متكامل لها، **ينظر:** خالد حامد، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، (الجزائر: دار جسور للنشر والتوزيع، 2008م)، ط1، ص: 44.

(2) **المنهج الاستقرائي:** هو المنهج الذي ينتقل الذهن من خلاله من القضايا الجزئية إلى القضايا أو المفاهيم أو التصورات أو المعاني الكلية، فيضيف جديداً إلى معلوماتنا، **ينظر:** عبد الفتاح محمد العيسوي، وعبد الرحمن محمد العيسوي، مناهج البحث في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، (بيروت: دارالراتب الجامعية، 1997م)، ط1، ص: 17، (بتصرف).

(3) **المنهج التاريخي:** هو المنهج الاستقصائي في الدراسات العلمية والاجتماعية والإنسانية... وهو الطريق العلمي المتفحّص الذي يتبعه الباحث أو يسلكه بنور التاريخ، ليهتدي به إلى غايات المعرفة العلمية، معتمداً على أدلّة وأدوات ومصادر يمكن استعمالها بعد التأكّد منها، وهو لا يعتمد على السرد والنقل، بل على التفحّص والقياس. **ينظر:** حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1999م). ط1، ص: 58.

(4) **المنهج التحليلي:** هو أحد أدوات المنهج الوصفي، يتمّ به تحليل محتوى المادة لتحصيل التعبير الكمّي عن الظواهر والأحداث من خلال الوثائق، من غير اتصال مباشر بالمصادر البشرية، **ينظر:** رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارسته العملية، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 2005م)، د. ط، ص: 215، (بتصرّف).

(5) **المنهج الاستنباطي**: هو المنهج الذي يظهر الحقائق والنتائج الكامنة أصلاً في المقدمات، **ينظر:** العيسوي، مناهج البحث في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، (مصدر سابق)، ص: 17.

الدراسات السابقة:

لقد حفلت المكتبات بشتى لغاتها بدراسات وكتب لا تحصى عن نهضات الشعوب، ولاسيما النهضة الأوربية والنهضة اليابانية التي ضربت مثالًا في قوة الإرادة الإنسانية على البناء والنهوض من تحت الركام، ولضيق المقام: يذكر الباحث هنا بعضها مما وجد فيه علاقة ببحثه، وإن لم تغرق بنفس الموضوع، ولم تتناول كل محاوره، ومنها:

1. جذور نهضة اليابان، غانم علوان جواد الجميلي، ط1، الرياض، 2014م، وكاتبه كان سفيرا لدولة العراق في اليابان منذ أواخر عام 2004م، فهو ممن عايش المجتمع الياباني عن قرب، فاطلع على ثقافته وتاريخه وجغرافيته وعاداته وتقاليده، والكتاب محاولة -كما يقول مؤلفه- للفت الانتباه إلى هذه التجربة الإنسانية ووضعها في متناول القارئ العربي الذي هو أمسّ الحاجة إليه، فجاءت في فصولٍ عرضت: لأسباب النهوض من وجهة نظر الكاتب، وللجغرافيا اليابانية وأثرها في بناء الإنسان الياباني، وفي أصل السكان وتوزيعهم، وفي عقائد اليابانيين وأديانهم، وفي تاريخ اليابان ومراحله.

2. في أعماق التجربة اليابانية، نعمان عبد الرزاق السامرائي، ط1، لندن: دار الحكمة للنشر، 2000م، وهو مؤلَّف يصف فيه كاتبه مظاهر النجاح الياباني التي غدت دولة متطورة بفضل سياسة التعليم وثقافة المجتمع الياباني الخاصة والبيئة الجغرافية وطبيعة الإنسان الياباني وانضباطه، في دعوة حارّة للعالم العربي للاستفادة من تجربة اليابان.

3. التفوق الياباني وملامح التجربة العربية، عبد الرحمن بن صالح المشيقح، ط2، الرياض: مكتبة العبيكان للنشر، 1996م، وهو كتاب حاول الحديث من خلال الوصف والمقارنة بين الأمّتين: اليابانية والعربية؛ إذ تمتلك أحدهما مقومات النهضة والبناء والتحديث، فتصدم بمعوقات تحول دون انطلاقتها، وأخرى تفتقر لتلك الإمكانات –إلا العزيمة والإصرار على التفوّق- فتصل إلى أهدافها ومكانتها في الحضارة الإنسانية.

4. النموذج الياباني في الإدارة، أو: نظرية «Z» في الإدارة، وهي دراسة قام بها د. وليم ج. أوشي، WILLIAM G. OUCHI، ترجمة: حسن محمد يس، مراجعة: ربحي محمد الحسن، المملكة العربية السعودية، الإدارة العامة للبحوث، مطابع معهد الإدارة العامة للبحوث، ط1، والتي بدأ بها مع نهايات سبعينيات القرن العشرين الميلادي، والتي استمرّت لسنوات، وقد هدف البحث إلى استقصاء الخصائص

الأولية لتنظيم الإدارة اليابانية، والتي تُشكّل قواعد نظرية (Z) في الإدارة، ودراسة فرضية إمكانية تطبيقها في أمريكا، وقد وصلت الدراسة إلى نتائج عديدة، من أهمّها: اعتماد الإدارة اليابانية القيم المشتركة؛ إذ الاهتمام القوي بالقيم الجماعية الموحّدة، وعلى الأخص الشعور الجماعي بالمسؤولية: داخل المنظمة الواحدة من جهة، وبين المنظمات داخل المجتمع من جهة أخرى.

5. عصر النهضة: دراسة في الحضارة الأوربية الحديثة، السيد رجب حراز، د. ط، 1974م، القاهرة، دار النهضة العربية للنشر، وهي دراسة حضارية بالدرجة الأولى، وليست دراسة للتطور السياسي؛ إذ ركّزت الدراسة على التعرّف على مظاهر وخصائص المجتمع الأوربي في العصور الوسطى؛ لتوضيح كيفية انسلاخ عصر النهضة عن مجراها، ولإبراز الخطوط العريضة في حركة تطوّر المجتمع... ثم عرضت الدراسة: لعصر النهضة بوجه عام من خلال التطرّق لنظريات النهضة وتعاريفها وتفسيرات المؤرخين لدوافعها، وفصّلت الدراسة في النهضة الإيطالية باعتبارها البداية للنهضة الأوربية، ودرس الباحث الاتجاهات الإصلاحية والفكر السياسي الإيطالي، ودرس أيضًا مظاهر النهضة الأدبية والفنية خارج إيطاليا، وتطرّق للكشوف الجغرافية وتأسيس الإمبراطوريات الاستعمارية الأوربية الأولى، ونظر في حركة الإصلاح الديني البروستانتي أو: الانشقاق اللوثري، وأسبابه.

الجديد في هذا البحث:

وتأتي هذه الدراسة المتواضعة اليوم في سياق محاولة الاستفادة من الدراسات السابقة، والمساهمة في جسر الهوّة بالإضافة عليها بما يحقّق أهداف البحث الرامي إلى تحليل بعض النهضات السابقة، ورسم سبل الاستفادة منها في توجيه نهضات الشعوب النامية، وذلك من خلال التالي:

1. الكشف عن القيم الجوهرية - والقيم التطبيقية المنبثقة عنها- التي يكمن أن تتبنى عليها نهضات الشعوب، ولفت النظر إلى أثرها في توحيد أفراد المجتمع حولها والانطلاق بهم نحو النهضة، والذي لم يجد الباحث أيًّا من الدراسات السابقة قد تناولته أو أفردت له بحثًا مستقلاً.

2. ملاحظة دور الإدارة العليا للمجتمع –أو بتعبير أدق: دور القيادة السياسة للمجتمع ونخبته- في إيجاد القيم التوحيدية وبلورة القيم الجوهرية التي يمكن أن تجتمع عليها المجتمعات؛ لتكون محركًا فاعلاً في نهضتهم، وهو ما يُعدّ الجديد الآخر

في هذا البحث.

3. استعراض النواحي التي يجب على الإدارة العليا توجيه أفراد المجتمع نحوها؛ للقيام بنهضة مجتمعية شاملة تساعد المجتمع من تبوّؤ مكانه في الحضارة الإنسانية والمشاركة في الفعل الحضاري الإنساني.

خطة البحث: «هيكل البحث»

لقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه بعد المقدمة التي أورد فيها الباحث بعد الاستهلال: أهمية البحث، وإشكاليته، وأسئلته، وأهدافه، وفرضياته، ومنهج الباحث فيه، الدراسات السابقة، وجديد البحث، وهيكل الدراسة، إلى تمهيد وأربعة مباحث، وخاتمة.

وقد تناول الباحث في تمهيده عرض العقبات التي تحول دون نهضة بعض الدول المتخلفة، ومدى قدرتها على الاستفادة من التجارب النهضوية السابقة.

وأما المبحث الأول، فقد عرض فيه الباحث في تمهيد ومطلبين: التعريف بالقيم، وبالقيم الجوهرية، وقيم النهضة الأوربية، ودور الإدارة العليا في إيجادها وتوظيفها، وذلك من خلال عرض النموذج الليبرالي (الغربي) الذي اعتمدته المجتمعات الأوربية في نهضتها.

وأما المبحث الثاني، فقد عرض فيه الباحث في مطلبين لقيم النهضة اليابانية، ودور الإدارة العليا في إيجادها وتوظيفها في النموذج الياباني.

وفي المبحث الثالث: عرض الباحث لنواحي توجيه أفراد المجتمع في سبيل تحقيق النهضة، والتي نظّر لها المفكر الإسلامي: مالك بن نبي في كتابه: شروط النهضة، ثم قام الباحث بإسقاط النظرية على التطبيقات النهضوية في التجربتين الأوربية واليابانية، وذلك في تمهيد وثلاثة مطالب.

وأما المبحث الرابع، فقد عقد الباحث فيه المقارنة بين التجربتين الأوربية واليابانية؛ لاستخلاص أوجه التباين والتوافق بينهما في المطلب الأول، ثم عرض لمدى استفادة بعض الدول العربية والإسلامية من التجربتين في نموذجين مختلفين: «النموذج الماليزي، والنموذج العربي» في المطلب الثاني، لتأتي الخاتمة متبوعة بنتائج البحث، فالتوصيات.

تمهيد: العقبات التي تواجه نهضة الشعوب، وإمكانية الاستفادة من التجارب النهضوية السابقة:

إن استقراء التاريخ والواقع يُظهر وجود عقبات حقيقية كثيرة تواجه نهضة الدول التي لمّا تصل بعدُ إلى مستوى التقدّم الحضاري الذي وصلت إليه مسيرة بعض الدول المتقدّمة

مـع بدايـات القـرن الحـادي والعشـرين الميـلادي، تلـك التـي تُوصـف بالمتخلفـة، أو مـا تُسـمى بالـدول الناميـة، أو دول العالـم الثالـث، والملاحـظ أنّ ليـس أول تلـك العقبـات: الجهـل، ولا آخرهـا: الاسـتبداد، بـل هنـاك الـدور الاسـتعماري التسـلّطي لبعـض الـدول الكبـرى التـي حرصـت علـى إبقـاء الـدول الفقيـرة حبيسـة الفقـر والجهـل والتبعيـة لهـا، ورهنهـا فـي مربـع الهزيمـة النفسـية والحضاريـة، ومـن أهـمّ تلـك العقبـات -برأي الباحـث- مـا يلـي:

أولًا- العقبـات الاجتماعيـة: وهـي التـي تتعلّـق بعـادات المجتمـع، وتقاليـده، ومعتقداتـه؛ ومـدى ارتباطـه بهـا، وأثرهـا فـي سـلوكه العـام وثقافتـه المشـتركة.

ثانيًـا- العقبـات الاقتصاديـة: وتتلخّـص فـي ضعـف المـوارد الطبيعيـة أو ندرتهـا، وضعـف الاسـتثمارات والمبـادلات التجاريـة مـع محيطـه الإقليمـي والدولـي.

ثالثًـا- العقبـات السياسـية والإداريـة: كالاسـتبداد والفسـاد والبيروقراطيـة وتدنّـي مسـتوى الصحـة والتعليـم.

رابعـاً: العقبـات البشـرية الفنيّـة: وتتمثـل فـي ضعـف المـوارد البشـرية، ونقـص الفنييـن القادريـن علـى القيـام بأعبـاء النهضـة والتنميـة، فضـلاً عـن الأدوات الحديثـة.

خامسًـا- العقبـات النفسـية: وهـي حالـة الهزيمـة النفسـية التـي تعيشـها بعـض الشـعوب أمـام تفـوّق العالـم المتقـدّم.

ولكـن النظـر فـي التجـارب النهضويـة التـي قامـت بهـا شـعوب مـن تحـت الـركام، لتتبـوَّأ مقعدهـا الحضـاري فـي مقدمـة الأمـم المتطـورة، يعطـي حافـزًا ودافعًـا للشـعوب المقهـورة والمتأخـرة نحـو اليقظـة مـن السـبات، والنهـوض والمشـاركة فـي بنـاء الحضـارة الإنسـانية، فالنظـر فـي المعجـزة الألمانيـة التـي أذهلـت العالـم مثـلاً، خيـر دليـل علـى قـدرة الشـعوب علـى النهـوض إذا توافـرت لهـا الإرادة الصادقـة، والإدراة الراشـدة، والقيـم الجوهريـة الموحِّـدة: ففـي عـام 1948م، وبعـد ثـلاث سـنين مـن الحـرب العالميـة الثانيـة التـي خلّفـت وراءهـا ألمانيـا مدمَّـرة بالكامـل، ومحتلَّـة مـن أربـع دول، فرضـت الحكومـة الألمانيـة - بعـد أن بـدأ النشـاط يسـري فـي نفـس الشـعب الألمانـي - علـى الشـعب كلـه: نسـاءً وأطفـالًا ورجـالًا، التطـوّع يوميًّـا سـاعتين، يؤدّيهـا كل فـرد زيـادة علـى عملـه اليومـي بالمجّـان؛ مـن أجـل الصالـح العـام فقـط، وسـمي ذلـك: «التجنيـد العـام»، وهـو العمـل للمصلحـة العامـة، فأتـت بذلـك بمعجـزة اجتماعيـة جعلتهـا تشـارك بعـد عشـر سـنوات تقريبًـا فـي معـرض القاهـرة فـي مـارس 1957م، فأذهلـت العالـم بمعجـزة شـعب ينبعـث مـن المـوت والدمـار، ليُنشـئ أفخـم وأقـوى الصناعـات الضخمـة[1].

(1) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، (القاهرة: دار الكتاب المصري، 2012م)، ط1، ص: 189. (بتصرّف واختصار).

المبحث الأول: قيم النهضة الأوربية، ودور الإدارة العليا في إيجادها وتوظيفها:

تمهيد: القيم والقيمة الجوهرية:

أولًا- تعريف القيم: والْقِيمَةُ: وَاحِدَةُ الْقِيَمِ، وقَوَّمَ السِّلْعَةَ تَقْوِيمًا، أي: ثمّنها [1]، وتأتي القِيَمُة في لغة العرب بمعنى: الثبات، والاستقَامة، والاعتدال، والاتزان، والتقدير، والثمن[2].

ثانيًا- مفهوم «القيم» في اصطلاح الدراسات المعاصرة: وأما مفهوم «القيم» في اصطلاح الدراسات المعاصرة، فهي: مفاهيم تتعلّق بمعتقدات واتجاهات وقناعات يتبناها الفرد، ويدخلها في بنائه المعرفي، فتحدّد غاياته وأهدافه، فتمثّل معيارًا للفرد تحدّد سلوكه وتصرفاته وآراءه، وتعكس نمط علاقاته بأسرته ووطنه والعالم من حوله، والكيفيّة التي تتشكّل طباعه تبعًا لها؛ ممّا يجعله يلتزم بها قولًا وفعلًا، ومن خلالها يمكنه الحكم على ما يجوز وما لا يجوز [3].

ثالثًا- القيمة الجوهرية العليا: ولأنّ قيم كل مجتمع قد تكون متشعبّة، ولا يمكن حصرها، فإنّ تحديد القيمة الجوهرية العليا في مجال العلاقات الإنسانية عمومًا: يضبط تشعّبات تحديد القيم، وينظم التسلسل القيمي حول محور القيمة العليا بتراتيب رئيسة، وهذه القيمة العليا لابد من اكتشافها؛ لأنها تمثّل المحور الذي تنتظم حوله وعلى أساسه جميع القيم الأخرى، وهي –أي القيمة الجوهرية العليا- بمثابة قاعدة معيارية يتمّ ترشيد وضبط ومحاكمة أي أداء وظيفي على ضوئها، ويتمّ تحديد الاختيارات الوظيفية على أساسها، وتتميّز بكونها: القيمة المتناهية بالسمو، وبقدرتها على حماية الروح الفردية لدى الفرد دون أن تطغى على الروح العامة للجماعة، وبأنها تعمل عمل القوّة المنظمة، وأنها محايدة ومتجانسة، فلا تختلف وظيفتها وآثارها ونتائجها حسب الزمان أو المكان أو الموضوع، وأنها واضحة ومحدّدة، وأنها ذات طبيعة اجتماعية، فتعبّر عن علاقات الناس وتنظّمها، وأنها تتميّز بقدرتها على احتواء وتنظيم وتحقيق القيم الأخرى [4]، ومثل هذه القيمة بقوتها وانبثاقها من بيئتها

(1) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م)، ط1، مادة: قوم، ص: 286.

(2) محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، ط3. مادة: قوم، ج:12، ص: 500. وما بعدها باختصار.

(3) موقع: مركز صناعة الأفكار للاستشارات، (alafkarc.com)، مفهوم القيم والثوابت والمتغيرات، تاريخ الإضافة: 28 / 4 / 2014م، (د. اسم مؤلف).

(4) عبد المعطي عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة: (I Theory): نظرية الإدارة بالقيم: MBV، (الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع، 2013م)، ط1، ص: 53، وما بعدها، (تلخيص الفكرة بتصرّف من 20 صفحة تقريباً من المرجع المذكور).

الاجتماعيـة، وتأثيرهـا واجتمـاع أفـراد المجتمـع عليهـا، هـي التـي تحتاجهـا المجتمعـات للقيـام بنهضـة مجتمعيـة حقيقيـة وشـاملة؛ إذ أثرهـا التنظيمـي والتعبـوي للمجتمـع يكـون واضحًـا فـي الخطـوات المنظّمـة التـي تحمـل فـي طيّاتهـا الدافعيـة الذاتيـة لـكلّ فـرد فـي المجتمـع نحـو العمـل الجماعـي التعاونـي الفعّـال، الـذي يصنـع نهضـة حقيقيـة وشـاملة فـي عمـوم المجتمـع.

المطلب الأول: قيم النهضة الأوربية:

وعنـد الـكلام عـن النهضـة الأوربيـة مـن الناحيـة التاريخيـة، فإنّـه يمكننـا القـول: إنّ بوادرهـا قـد لاحـت فـي أوائـل القـرن الثالـث عشـر الميـلادي، وبـرزت خصائصهـا ومظاهرهـا تدريجيًّـا خـلال القرنيـن الرابـع عشـر والخامـس عشـر، وبحلـول القـرن السـادس عشـر انعطفـت النهضـة عـن طريـق العصـور الوسـطى؛ إذ أسـفرت عـن وجههـا بقـوة ووضـوح، ليسـجّل القـرن السـادس عشـر تميّـزه عـن العصـور السـالفة، بأنـه بدايـة العصـور الحديثـة، وظهـر أثـر ذلـك فـي الآداب والسياسـة والفنـون والديـن، كمـا ظهـر فـي أسـاليب الحيـاة العامـة والخاصـة، لتتبلـور بعـد ذلـك آثـار النهضـة واضحـة فـي مناهـج التفكيـر الإنسـاني فـي القرنيـن السـابع عشـر والثامـن عشـر[1].

وأمـا عنـد الـكلام عـن قيـم النهضـة الأوربيـة، فلابـدّ مـن الحديـث عـن المفهـوم القيمـي لتلـك النهضـة، للانتقـال بعدهـا إلـى عـرض قيمتهـا الجوهريّـة المحوريّـة، والقيـم التطبيقيـة، وهـذا مـا يعرضـه الباحـث فـي الفرعيـن التالييـن:

الفرع الأول: المفهوم القيمي للنهضة الأوربية: ويعرضه الباحث في الفقرات التالية:

الفقرة الأولى: المعنى اللُغوي للنهضة:

النهضة لغةً: من نهض: قام، وأنهضه، فانتهض، واستنهضه لأمر كذا: أمره بالنهوض له [2].

الفقـرة الثانيـة: المعنـى الاصطلاحـي للنهضـة: وفـي الاصطـلاح: فالنهضـة: «حركـة فكريـة عامـة، حيـة منتشـرة، تتّقد باسـتمرار فـي فضـاء القرن، وتطـرح الجديـد دون قطيعـة مـع الماضـي، وتشـمل مجـالات الديـن والسياسـة والاقتصـاد والاجتمـاع»[3].

(1) السيد رجب حراز، عصر النهضة: دراسة في الحضارة الأوربية الحديثة، (القاهرة: دار النهضة العربية للنشر، 1974م)، (د.ط)، ص: 80.

(2) الرازي، مختار الصحاح، مادة: نهض، ص348.

(3) جاسم سلطان، استراتيجية الإدراك للحراك من الصحوة إلى النهضة، مشروع النهضة، سلسلة أدوات القادة، (مصر، المنصورة: مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، 2005م)، ط1، ص: 17.

الفقرة الثالثة: قواعد ومنطلقات عصر النهضة الأوربية وولادة قيمها:

لا يمكن الحديث عن انطلاقة عصر النهضة الأوربية وتدرّج ولادة قيم النهضة الأوربية بمنأىً عن السياق التاريخي الذي عاشته الشعوب الأوربية في بدايات نهضتها، وهنا يقول صاحب كتاب «عصر النهضة»: لقد كانت الاكتشافات العلمية التي توصّل إليها مستكشفون ومفكرون مثل كولومبوس، وكوبرنيكوس، وجاليلو، تمضي جنبًا إلى جنبٍ مع تعريفات فلسفية أكثر للفردية، وكانت الروح الجديدة تسري في تلك المرحلة، فكان عصر النهضة يمثّل حالة ديمقراطية تقدمية تحتفي ببعض الفضائل العظيمة: كالعقل والحقيقة والفنّ والجمال... وكان المفكّر والمؤرخ الفرنسي ميشليه (1798 - 1874م)، أول مفكّر يعرّف عصر النهضة على أنه: فترة تاريخية حاسمة في الثقافة الأوربية مثّلت فاصلاً جوهرياً مع العصور الوسطى، والتي صاغت فهمًا حديثًا للبشرية ومكانتها في العالم، بل إنه روّج لعصر النهضة على أنه يمثّل روحًا معينة، أو موقفًا بعينه بقدر ما يشير إلى فترة تاريخية محددة [1].

وفي سياق التعليق على ما أورده الكاتب لاحظ الباحث أن انطلاق النهضة الأوربية تأتّى من اقتران الاكتشافات العلمية بولادة فكرٍ فلسفيّ عظّم الفردية، لتظهر إلى الواقع حالة ديمقراطية قدّرت العقل والفن والجمال، فنُفِخ في جسد الأمم الأوربية على اختلافها روح معينة مثّلت فاصلاً بين مرحلتين تاريخيتين مختلفتين تمامًا في القيم والسلوك.

الفقرة الرابعة: مفهوم النهضة الأوربية:

في حين يقول جيري بروتون، في كتابه عصر النهضة: مقدمة قصيرة: «هناك إجماع على أن تعبير عصر النهضة يشير إلى تغيّر عميق ودائم وتحول في الثقافة والسياسة والفن والمجتمع في أوربا ما بين عام 1400م، و1600م، والكلمة تشير إلى فترة من التاريخ، وإلى نموذج أكثر شمولاً في التحدّد الثقافي»[2]، يرى الكاتب الإنجليزي جون أدنجتون سيموند في مؤلفه النهضة في إيطاليا: «أن تاريخ النهضة الأوربية ليس هو تاريخ الفنون أو العلوم أو الآداب أو حتى الأمم، بل هو تاريخ حصول الروح الإنسانية المتجلية في الأجناس الأوربية على حرية الوعي الذاتي»[3]، وفي ذلك يوافقان ما ذهب إليه المفكّر والمؤرخ الفرنسي ميشليه (1798 - 1874م)، فيما أورده الباحث عنه آنفًا.

---

(1) جيري بروتون، عصر النهضة: مقدمة قصيرة، ترجمة: إبراهيم البيلي محروس، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014م)، ط1، ص: 15 – 16. (بتصرّف).

(2) بروتون، عصر النهضة، مقدمة قصيرة، ص: 14.

(3) حراز، عصر النهضة: دراسة في الحضارة الأوربية الحديثة، ص: 82.

نعم!! لقد كانت النهضة الأوربية بمثابة الانقلاب أو التغيّر الذي طرأ على روح الإنسان وتفكيره وسلوكه، نتيجةً لنمو العقل الإنساني المطّرد، والتنبّه الذهني الذي شمل جميع مناحي الحياة الأوربية وأثّر فيها، وأدّى إلى الاهتمام بالعالم المباشر من حوله دون اهتمام بالعالم الأخروي، حتى أُطلق على النهضة اسم: البعث، أو: الميلاد الجديد، وهي مرحلة انتقال، أو منعطف مهم في تاريخ المجتمعات الغربية [1].

وقبل الإيغال في استعراض القيم التي أثّرت في النهضة الأوربية يجد الباحث لزامًا التنبيه إلى الفرق بين: مفهوم النهضة، ومفهوم التنمية في الفكر الأوربي، ذلك أن مفهوم النهضة هو: مفهوم الحراك الاجتماعي لعصرٍ ما نحو الفاعلية الحضارية، وأما مفهوم التنمية في الفكر الأوربي هو مفهوم يقتصر على الجانب الاقتصادي ومؤشراته [2]، «والمجتمعات تسعى في طريقها للحضارة بتحقيق جانبين: الأول: جانب استقرار وتنمية، والثاني: أن يكون لها منظومة قيمية وأن تسهم في الحضارة الإنسانية [3].

الفرع الثاني: القيم الجوهرية والقيم التطبيقية في النهضة الأوربية:

إن باستقراء التبدلات الفكرية التي طرأت على الفكر الأوربي، والتي بدا أثرها واضحًا على سلوك الأفراد، يمكن استنباط القيم التي أثّرت في تحريك المياه الراكدة في المجتمعات الأوربية على اختلاف بيئاتها، والتي أسِنت على امتداد العصور الوسطى، أو قرون الظلام الأوربية، كما يمكن فرزها إلى قيم محورية، أو جوهرية، وهي التي توَحّد حولها المجتمع وجعل منها الأساس في الانطلاق نحو التغيير والنهضة، وقيم تطبيقية، وهي التي تولّدت من القيم الجوهرية، وهذا ما سيعرضه الباحث في الفقرتين التاليتين:

الفقرة الأولى: القيم الجوهرية في النهضة الأوربية وظروف ولادتها:

لقد ظهرت في عصر النهضة الأوربية تبدلات فكرية غيّرت مفاهيم العصور الوسطى، فقامت مفاهيم جديدة على أنقاض المفاهيم الإقطاعية التي كانت سائدة، فامتلك إنسان النهضة شخصية مستقلة مشكّلا بذلك الخلية الأساسية في المجتمع، وتمتّع بالفردية والجرأة الفكرية واحتقار الضعف والأعراف والتقاليد والخرافات، وتحلّل من سيطرة رجال الدين ودكتاتورية الكنيسة الروحية [4].

(1) حراز، عصر النهضة: دراسة في الحضارة الأوربية الحديثة، ص: 95 - 96، (بتصرّف واختصار).

(2) سلطان، استراتيجية الإدراك للحراك من الصحوة إلى النهضة، ص: 20.

(3) سلطان، استراتيجية الإدراك للحراك من الصحوة إلى النهضة، ص: 21.

(4) محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوربي: عصر النهضة، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1983)، ط1، ص:61.

فقد خضعت أوربا لقرون مديدة لسيطرة الكنيسة، فكانت الحاكم الحقيقي للشعوب الأوربية باسم الربّ، ثمّ تلاها خضوع مطلق لأنظمة الحكم المطلق، ولاسيما في مرحلة ما قبل الثورتين الفرنسية والأمريكية في نهايات القرن الثامن عشر، ولم يكن يوجد بعد أي منظمات ذات طبيعة بيروقراطية سوى منظمة الدولة، وقد ترتّب على الحكم المطلق أن هيمنت السلطة المركزية على مقدرات الدولة، وسخّرتها في الغالب لمصلحتها ومصلحة النخبة الحاكمة، مما جعل نمط الإدارة يتّسم بالمركزية والاستبداد على مستوى المركز، وبالخضوع والانصياع على مستوى أفراد المجتمع، وصاحب ذلك انتشار الفساد الإداري والسياسي إلى الحدّ الذي أدى في النهاية إلى حدوث الثورات التي كانت تهدف إلى التخلّص من هذه الأوضاع، وبناء نظام جديد يقوم على قاعدة: «قيمة الحريّة»، والتي برزت كقيمة جوهريّة عليا يتوحّد حولها كل أفراد المجتمع، وذلك كردّ فعل طبيعيّ على «قيم» التسلّط والاستبداد، وكبديل لها، وما فتئت هذه القيمة الجوهرية إلا تحولت إلى فلسفة سائدة في الغرب، وقد ركّزت على إطلاق طاقة كلّ فرد فيه [1]، حتى إن قيم عصر النهضة الأوربية كانت قريبة جدًّا من قيم ومبادئ الثورة الفرنسية التي تعتنق مبادئ الحرية والعقل والديمقراطية، وترفض الاستبداد السياسي والديني، وتحافظ على قدسية روح الحرية وكرامة الإنسان [2].

وبناءً على ما سبق من استقراء، يمكن للباحث تسجيل ملاحظاته مستنبطةً مؤطَّرة في ثلاث حقائق:

الأولى: أن قيمة «الحرية» هي القيمة الجوهرية التوحيدية الأولى التي قامت عليها النهضة الأوربية.

الثانية: أنها جاءت كثورة وردّ فعلٍ على الاستبداد والفساد؛ لردّ الاعتبار لكرامة الإنسان.

الثالثة: أنها كانت نتيجة تراكم قرون من المعاناة والبحث والتضحية للوصول إلى النضج الفكري والنهضة!!.

الفقرة الثانية: القيم التطبيقية في النهضة الأوربية:

لقد استمدّت الحضارة الأوربية المعاصرة بعض أصولها -كما مرّ- من الثورة الفرنسية؛ ذلك أن «القيم العليا» عن الحريّة الفردية والسيادة الشعبية والوطنية القومية قد

(1) عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص: 202 وما بعدها (بتصرّف).

(2) بروتون، عصر النهضة: مقدمة قصيرة، ص: 15 – 16، (بتصرّف).

نُودي بها صراحةً في فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر، وانتشرت انتشارًا واسعًا في أنحاء القارّة الأوربية في عهد نابليون ومترنيخ، وأصبحت هدفاً لمجهود سياسي واجتماعي وفكري عظيم في أوربا [1].

ولكنّ قيمة الحرية التي بنى عليها النموذج الليبرالي الغربي فلسفته عليها، وجعل منها القيمة الجوهرية التوحيدية العليا، والتي ردّت الاعتبار لروح الفرد التي كانت محاصرة بسطوة السلطة ومصالحها، ولّدت لديه قيمًا «تطبيقية» أخرى، انبثقت عنها وأثّرت بشكل مباشر في نهضة المجتمعات الغربية، ومن ذلك: قيمة التعاون الاجتماعي، وقيمة العمل الجماعي، وقيمة العمل التطوعي، وقيمة الاقتصاد في الجهاز الإداري، وقيمة الاقتصاد في التكاليف [2].

المطلب الثاني: دور الإدارة العليا في إيجاد وتوظيف القيم في نموذج النهضة الأوربية:

إنَّ عمق المرارة التي تجرّعتها الشعوب الأوربية في مرحلة الحكم المطلق الفاسد، هو الذي جعل قيمة «الحريّة» تقفز على رأس اختيارات المرحلة السياسية الجديدة؛ ظنًّا من روّاد الثورة – وهم في تلك اللحظة التاريخية الحاسمة يمثّلون الإدارة العليا الموجّهة للمجتمع مؤقتًا- أن ذلك هو الضمانة التي تحول دون العودة إلى زمن الاستبداد والفساد والحكم المطلق [3]، وفي هذا المطلب سيعرض الباحث لدور الإدارة العليا للمجتمع في بلورة قيم النهضة الأوربية التي توافق بيئته، وكيفية توظيفها في توحيد وتعبئة أفراد المجتمع، ومن ثمّ في خدمة النهضة، وذلك في الفروع التالية:

الفرع الأول: ولادة الإدارة «السياسة» العليا المستقلة عن الكنيسة في التاريخ الأوربي:

لقد كانت العلاقة بين الدين والسياسة في عصر النهضة متداخلة ومعقّدة، فبين عامي 1400م، و1600م كانت المعتقدات الدينية جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية، كما كان من المستحيل فصل الدين عن ممارسة السلطة السياسية... وبينما كانت الكنيسة الكاثوليكية تجاهد للتأكيد على سلطتها الدنيوية والروحانية طوال هذه الفترة، فإنها كانت تواجه صراعًا وانشقاقًا وانقسامًا مستمرًّا، وقد وصل الصراع ذروته في عهد الإصلاح في القرن السادس عشر.... ثمّ تحوّل شكل السلطة الدينية خلال هذه الفترة بظهور أنماط جديدة من السلطة السياسية، فأصبحت المؤسسات السياسية تتحكّم بصفة متزايدة في الحياة اليومية لكثير من

(1) كارلتون ج. هـ. هيز، الثورة الصناعية ونتائجها السياسية والاجتماعية، تعريب: أحمد عبد الباقي، (بغداد: منشورات مكتبة المثنى، 1962م)، ط2، ص: 15.

(2) عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص: 203، (بتصرّف).

(3) عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص: 203، (بتصرّف).

الناس، فجرّبت المدن الإيطالية مثل: فلورنسا وفينيسيا الحكومات الجمهورية [1]، وهذا كان بداية التغيير المجتمعي الذي أفضى فيما بعد إلى نهضة شاملة، حيث كسرت السلطة السياسية الوليدة - ولو نسبيًّا- قيد الاحتكار الكنسي الديني المتحكّم حينها في قيادة وتوجيه المجتمع الأوربي.

إن ولادة الجمهوريات، وسريان روح النهضة في مفاصل المجتمعات الأوربية، وإبعاد التسلّط الكنسي الديني، والحدّ من صلاحيات الحكم المطلق: غيّر لون أوربا ومزاجها، والذي بدأ بإيطاليا التي أعطت بريادتها في التغيير أوربا لون النهضة، ففي مدنها التجارية الكبرى – كفلورنسا، والبندقية، وميلانو، ومنتو- وعلى أيدي حكّامها وطبقاتها الأروستقراطية تفتحت ونمت، حيث حاول الأمراء في هذه المدن أن يخلعوا على حياة البلاط كل رونق وأبّهة وجمال... وانتشر هذا المفهوم في القارة الأوربية على يد الأشراف والسفراء وتابعيهم وأمناء سرّهم والشعراء والعلماء والأطباء[2].

الفرع الثاني: دور الإدارة العليا في توليد قيم النهضة الأوربية:

لمّا عرفنا بأن مفهوم النهضة الأوربية يعني: ذلك التفتّح العجيب للحياة بأشكالها المختلفة... وهو بالمعنى الواسع: تدفّق من الحيوية أثار البشرية الأوربية، فتبدلت على أثره حضارة أوربا بكاملها... وأنه دفعٌ داخلي جدّد حياة العقل والحواس والمعرفة والفن... ونمت ظواهره الأدبية والفنية والعلمية في أوساط المتموّلين الأثرياء وفي ظل الملوك الذين استطاعوا فرض مجتمع جديد وهو في عزّ توسعه الاقتصادي... إنها (أي: النهضة): ثمرة البلاطات والأكاديميات والحلقات والصالونات[3]، ففي البلاطات تعيش الإدارة السياسية العليا للمجتمع، وفي الأكاديميات والصالونات تتلاقح أفكار النخبة المثقّفة وتتصادم المشاريع الفكرية، لتقدح شرارة التغيير المجتمعي الشامل، فتنتشر ثقافة مجتمعية موحّدة، وتولد نهضة شاملة تطال الفكر والفن والسياسة والاقتصاد.

صحيح أن ذلك التحول في المجتمع الأوربي لم يتم بشكل شاملٍ ولا فجائيٍّ ولا مثاليّ، بل كان تطوريًّا مكّن للنخب المهيمنة على الأوضاع الاقتصادية من أن تقود عمليات التمثيل السياسي، لتكون في مرحلة معينة هي الإدارة العليا ذات النفوذ والسيطرة على المجتمع، إلا أنه مكّن بالمقابل للانتقال التدريجي إلى الحالة الديمقراطية التي فرضها الرضى باعتماد قيمة «الحرية» كبديل لقيم الاستبداد والتسلط المطلق، الأمر الذي أجبر السلطات

(1) بروتون، عصر النهضة: مقدمة قصيرة، ص: 58 - 59.

(2) نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوربية، الموسوعة التاريخية الحديثة، (دمشق: دار الفكر، 1985م)، (د.ط)، ص: 76، وما بعدها (باختصار وتصرّف).

(3) حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوربية، ص: 75 - 76، (باختصار وتصرّف).

الأروستوقراطية العائلية الحاكمة عقب الثورة على تحولات نسبية في فكرها، أدّت إلى النزول على قيمة الحرية ومقتضياتها، واعتمادها كقيمة جوهرية عليا يجب الاحتكام إليها كموجّه وضابط ومحفّز من محفّزات النهضة، فتبع ذلك توسّع في الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، والتعاون المجتمعي والشفافية، في ردّ حاسم لاعتبار روح الفرد التي كانت محاصرة بسطوة السلطة ومصالحها [1]، فيثبت بذلك دور –اختياريّ أو إجباري– للإدارة العليا للمجتمع في المشاركة في توليد وتوظيف قيم النهضة.

المبحث الثاني: قيم النهضة اليابانية ودور الإدارة العليا في إيجادها وتوظيفها:

تمهيد: مخاض النهضة اليابانية:

إن التجربة النهضوية اليابانية لم تأتِ من فراغ، وإنما كانت وليدة سلسلة من التطورات التي أملتها الظروف البشرية والجغرافية التي أسهمت في بناء الإنسان الياباني، الذي قام بعمل جبّار يوضّح قوة الإرادة البشرية التي يمكن أن تسمو فوق كل الصعوبات مهما كبرت... ذلك أن حياة الأمم ونهضتها تُصنع من خلال جهودها في مواجهة التحديات [2].

إنّ الأمر الذي لا خلاف عليه هو أن المجتمع الياباني قبل تلمّس قيم نهضته الجوهرية وانطلاق نهضته على أساسها، كان مجتمعاً مفككًا جغرافيًّا، ومبعثراً في عدد كبير من الجزر، وكان متصارعًا اجتماعيًّا، ويعيش حروباً داخلية بين طبقة الساموراي التي كانت تمثّل الطبقة العليا في المجتمع، وبين فئات المجتمع الأخرى، وكان مجتمعًا ضعيفًا فقيرًا من الناحية الاقتصادية، في افتقار للموارد والثروات الطبيعية [3].

إنّ الناظر في مسار التجربة النهضوية اليابانية بعمقه التاريخي، ليعلم أنّ القول بكون النهضة اليابانية قد قامت في منتصف الستينيات من القرن التاسع عشر الميلادي ما هو إلا نتاج نظرة سطحية لم تتعمّق في دراسة جذور النهضة اليابانية التي بدأت حقيقةً قبل ثلاثة قرون تقريباً، وسيأتيك الدليل في طيّات المطلبين التاليين:

(1) عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص: 203، وما بعدها (باختصار وتصرّف).

(2) غانم علون الجميلي، جذور نهضة اليابان، (الرياض: مؤسسة العبيكان للنشر، 2014م)، ط1، ص: 9 وما بعدها (باختصار).

(3) عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص: 208، (باختصار).

المطلب الأول: قيم النهضة اليابانية، وسيعرضه الباحث في الفروع التالية:

الفرع الأول: ولادة القيم اليابانية:

بعد حرب الباسيفيك دارت مناقشة مهمة بين اليابانيين تتعلق بما سمي: (شوتاي. ساي)، والمصطلح حرفياً يعني: «الذات الفاعلة»، وهو يشير إلى الإنسان الفرد القادر على النفاذ الفكري والتقييم واتخاذ القرار، والوصول إلى حال الذات الفاعلة، ويقضي ذلك بوجوب أن يطرح المرء خلفه الأعراف والتقاليد القديمة جميعًا، والقبول بمفاهيم التضمين والإبعاد، وقمع وإخماد التوجهات الفردية من أجل مظاهر الاتفاق الجمعي، وذلك لإرساء الأساس للهوية الاستقلالية، وحضور الشخصية العامة القادرة ليس على النهوض بالتزاماتها الأخلاقية فحسب، ولكن أيضا على العمل المعلن الصريح بلا تحفّظ... فكانت أفكار اليابانيين وقيمهم هي الأفكار والقيم التي تفرضها الجماعة [1]، فكان من أوائل القيم التي تغذّى بها الشعب الياباني قيمة الانتماء للجماعة، وذلك من خلال: تكرار عرضها، وتعميقها في عقول الناشئة في كل مكانٍ ومناسبة، حتى تأصّل ذلك في كيانهم اللاشعوري وصار لازمًا لهم [2].

وإذ كان قادة اليابانيين أنفسهم من الساموراي السابقين، فقد لجأوا إلى ماضيهم لخلق اليابانيين الجدد، وذلك بغرس روح الولاء والتفاني والبطولة في أذهان الأهالي كلّهم، والتي كانت ترتبط بطبقة الساموراي فقط، وذلك بجعل هذه القيم قيمهم، وقد تجلّى ذلك في ما قاله هيروبومي إيتو: أول من تولى منصب رئيس وزراء في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وهو ساموراي سابق، وأضاف: «يجب أن نعلّم الناس العاديين أن يعملوا ويدرسوا باجتهاد من أجل أحيائهم وقُراهم، وألا يتردّدوا أبدًا في أمور قد تؤدي إلى تدمير عائلاتهم، وفوق ذلك لا بد أن ينمّوا شخصية مطيعة وسلمية، وأن يحترموا القانون، ويظهروا تفهّما لقيمنا الأخلاقية النبيلة، والمشاعر القومية الرفيعة[3].

الفرع الثاني: القيمة الجوهرية للنهضة اليابانية:

كان الإمبراطور الذي استعاد سلطته في عام 1868م شابًّا في السادسة عشرة من عمره: ذكيًّا وسيمًا، يسمى موتسوهيتو، وقد أصدر نوعًا من المدخل الدستوري سمّي بقَسم الميثاق، وكان بمنزلة عهد قطعه على نفسه لأسلافه، ومن بين بنوده الخمسة، ينصّ البند الثالث على الآتي:

---

(1) باتريك سميث، اليابان: رؤية جديدة، ترجمة: سعد زهران، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مجلة عالم المعرفة، 2001م)، (د.ط)، العدد رقم: 268، ص:68، (بتصرف بسيط).

(2) عبد الرحمن بن صالح المشيقح، التفوّق الياباني وملامح التجربة العربية، (الرياض: مكتبة العبيكان للنشر 1996)، ط2، ص:37 - 38، (بتصرّف واختصار).

(3) سميث، اليابان رؤية جديدة، ص:87، (بتصرف بسيط).

«يجب أن يتحقّق للناس العاديين على نحوٍ لا يقل عن المسؤولين في السلك العسكري والمدني كل ما يتطلّعون إليه من آمال، لتطمئن قلوبهم ويهدأ بالهم»... كانت فكرة ثورية آسرة!!!... لقد أعلن الإمبراطور الشاب نهاية فترة طويلة من العبودية الممرضة، كان يتعيّن إزالة كل الفواصل التي تفرّق بين المسؤولين الرسميين والناس العاديين، بين المراتب العليا والمراتب الدنيا، كما كان يتعيّن تحويل المجتمع من حالة الثبات والجمود إلى حالة من الحراك، وأن يتحوّل أعضاؤه إلى أفراد ساعين لتحقيق الذات... لقد كان موتسوهيتو الإنسان البشر الذي طرد «الشوجونات» المرعبين من حياة اليابانيين جميعا [1]، وكُتب على يديه الولادة الأولى لقيمة «المساواة» التي اجتمع حولها اليابانيون.

لقد بدأت التجربة اليابانية بالبحث عن هوية فلسفية تضمن حشد جميع القوى والطاقات في اليابان، وتوجيهها لخدمة توحيد اليابان وبناء قوتها وقواعد نهوضها، فكان استشعار حقيقة القيم ومكانتها في حياة المجتمعات، وكونها القوة المحركة الأساسية، ومن هنا كانت نقطة الانطلاق في البحث عن قيمة جوهرية توحّد المجتمع الياباني وتطلق طاقات الجماعة فيه، فاهتدى رجل الإدارة العليا في المجتمع الياباني بصورة عبقرية -ومن معطيات المجتمع الذي كان مبنيًّا على الطبقية- إلى قيمة «المساواة الاجتماعية» كقيمة جوهرية عليا، وأيقن أن عليها أن تحكم الفلسفة العامة في الحياة اليابانية، لينبني نظام العلاقات الاجتماعية عموديًّا وأفقيًّا على أساسها، ولتكون القيمة القادرة على حشد الطاقة العامة للمجتمع، وتوحيده من أجل الوصول إلى غايات التنمية والتقدّم العليا، واللحاق بالمجتمعات الليبرالية التي تحتكم إلى قيمة الحرية وإلى طاقة الأفراد فيها[2].

الفرع الثالث: القيم التطبيقية في النهضة اليابانية:

لقد كان الشأن العام وما يزال القيمة الاجتماعية الأسمى في المجتمع الياباني منذ انطلاقته النهضوية الأولى، والشأن العام وثيق الارتباط بالنظام والجماعة، بينما الشأن الخاص شأن فردي، ومن ثمّ متكتّم وأناني ومفسد... ولذلك كان ثمن الانتماء هو: إخضاع الشخصية الفردية للجماعة، أي: إخضاع الخاص للعام، وإخضاع الدفين للمعلن [3]، فأصبحت بعد ذلك المفاهيم والمبادئ التي تضمن التنظيم الجماعي مثل: العدالة، والنظام، والتعاون، وأمثالها، من المقدسات في المجتمع الياباني، حتى سميّت ضمن المقدّسات بـ: المفاهيم الحميدة [4].

(1) سميث، اليابان رؤية جديدة، ص:83، (بتصرف بسيط).

(2) عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص: 208 - 209.

(3) سميث، اليابان: رؤية جديدة، ص: 64.

(4) الجميلي، جذور نهضة اليابان، ص48، بتصرّف.

المطلب الثاني: دور الإدارة العليا في إيجاد وتوظيف القيم الجوهرية في النهضة اليابانية:

ويعرضه الباحث في الفروع التالية:

الفرع الأول: دور الامبراطور في إيجاد وتوظيف القيم الجوهرية في النهضة اليابانية

لقد تولّى الإمبراطور الفتى «موتسوهيتو» الحكم في نهاية 1867م، وتلقّب باسم الإمبراطور مايجي Meiiji، أي: «المصلح»، أو صاحب السلطة العادل، وكان قادة الإصلاح معه من كبار الساموراي، وقد شكّلوا نخبة متميزة من كبار قادة الرأي الذين عارضوا تدابير حكومة «الشوغون» التي منحت الاتفاقيات المجحفة بحق اليابان، وكان بعضهم من كبار القادة الذين وقفوا إلى جانب الإصلاحات العسكرية والإدارية والمالية... ورغم أن بدايات الإصلاحات كانت بأمر الإمبراطور الفتى، إلا أنها كانت في الحقيقة من صنع كبار قادة الساموراي المؤيدين له [1].

لقد تميزت مرحلة مايجي بأحداث مهمة، أبرزها: إعلان مبادئ الإصلاح الخمسة، والتي نصّت على التالي [2]:

1. كل القرارات أو التدابير يجب أن تُتّخذ بعد نقاش جماعي للدفاع عن المصلحة العامة.
2. لا فرق بين أعلى وأدنى في اليابان، بل الجميع واحد، مع الحفاظ بدقة على التراتيب الاجتماعية.
3. من الضروري أن تتوحد السلطتان العسكرية والمدنية في يدٍ واحدة؛ بهدف حماية حقوق كل الطبقات والمصلحة القومية العليا معًا.
4. يجب التخلّي عن التقاليد الشكلية القديمة والعمل على أن تظهر مساواة طبيعية بين الجميع دون تمييز.
5. البحث لاكتساب الثقافة والتعليم العصري في أي مكان في العالم، واستخدامهما في بناء ركائز الإمبراطورية اليابانية.

وعند تفكيك خطاب مبادئ الإصلاح الخمسة وتحليل محتواها القيمي تماشيًا مع منهج البحث: رأى الباحث أن المبدأ الأول قرّر قيمة «الشورى»، والمبدأ الثاني قرّر لقيمة المساواة

(1) مسعود ضاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية: تشابه المقدمات واختلاف النتائج، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة كتب عالم المعرفة، رقم: 252، 1999م)، (د.ط)، ص: 220.

(2) ضاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية: تشابه المقدمات واختلاف النتائج، ص: 222.

مـع التمسّـك بالهويـة الثقافيـة للمجتمـع اليابانـي، بينمـا قـرر المبـدأ الثالـث قيمـة الوحـدة المجتمعية، وقـرّر المبـدأ الرابـع قيمـة التجديـد، وقـرّر المبـدأ الخامـس قيمـة العلـم.

لقـد سـاهمت تلـك التدابيـر فـي إنهـاء الامتيـازات الاجتماعيـة القديمـة فـي اليابـان، وفـي انخـراط الجميـع فـي بنيـة اجتماعيـة جديـدة علـى قاعـدة المسـاواة والمجتمـع المتجانـس... لقـد كانـت المرحلـة الممتـدة مـن 1868 حتـى 1885م بمثابـة مرحلـة انتقاليـة فـي تاريـخ اليابـان: مـا بيـن سـيادة النظـم التقليديـة القديمـة (مجتمـع طبقـي يعتمـد علـى الزراعـة)، واسـتيعاب النظـم الغربيـة الحديثـة، والعمـل علـى توظيفهـا فـي خدمـة أيديولوجيـا التحديـث اليابانيـة القائمـة علـى: قيـم المسـاواة الاجتماعيـة، لتحقيـق: «جيـش قـوي ليابـان غنيـة»[1].

لقـد كان قـادة الإصـلاح الجـدد فـي معظمهـم مـن رجـال الحكـم والإدارة ورجـال المـال والأعمـال... إلا أن الإمبراطـور عـرف كيـف يقيـم التـوازن بيـن فئـات المجتمـع، وكيـف يوظّـف القيـم الجديـدة والإمكانيـات المتاحـة فـي خدمـة مشـروعه الإصلاحـي الرامـي إلـى نهضـة اليابـان وتحويلهـا إلـى دولـة عصريـة قويـة: عسـكريًّا واقتصاديًّـا [2].

الفرع الثاني: دور رجل السياسة وقادة الإصلاح في إيجاد وتوظيف القيم الجوهرية في النهضة اليابانية:

إن روح التحـدّي المخلصـة التـي وُجـدت لـدى السـلطة الحاكمـة الجديـدة قبيـل النهضـة اليابانيـة، كانـت أقـوى فـي إخلاصهـا ووعيهـا مـن جميـع التحديـات، فانتصـرت روح التحـدّي عندمـا توفّـرت الإرادة الحقيقيـة علـى كل عوامـل التفكك والفقـر والتخلّـف، ذلـك أن رجـل السـلطة حينهـا كان -فضـلاً عـن إخلاصـه- مثقّفـا مطّلعـا، وذو بصيـرة اسـتراتيجية فذّة تصل في مسـتواها بالتقديـر الحقيقـي والموضوعـي لهـا إلـى درجـات الإعجـاز... لقـد فهـم الحكمـة العمليـة القائلـة: إذا أردت أن تلحـق بخصمـك وتتفـوق عليـه، عليـك أن تبحـث عـن مقومـات وآليـات تكـون مختلفـة عمـا لديـه، وأن تكـون أعلـى قـوّة وقـدرة وتصميمـاً علـى تحقيـق النصـر، وهـذا مـا قـاده إلـى فكـرة التفـوّق علـى فلسـفة الحريـة السـائدة فـي الغـرب والتـي ركّـزت علـى إطـلاق طاقـة الفـرد، عبـر اعتنـاق فلسـفة مختلفـة تطلـق طاقـة الجماعـة، ولـن يكـون ذلـك إلا عبـر إيجـاد واسـتثمار قيمـة «المسـاواة الاجتماعيـة» كقيمـة جوهريـة توحيديـة عليـا، ثـم اهتـدى إلـى قيمـة التعـاون كقيمـة جوهريـة أخـرى، ليضبـط مـن خلالهـا العلاقـات الوظيفيـة، ولتضمـن الانسـجام والتوافـق فـي العلاقـات داخـل المنظمـات... لقـد اعتبـر رجـل السـلطة اليابانـي أن التوافـق بيـن هـذه القيـم وانتظامهـا فـي منظومـة موحـدة ومتكاملـة يمثـل الأسـاس الـذي يتـم علـى ضوئـه تحديـد النمـوذج

(1) ضاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية: تشابه المقدمات واختلاف النتائج، ص: 226 - 227، (بتصرف).

(2) ضاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية: تشابه المقدمات واختلاف النتائج، ص: 225.

السياسي والإداري والاقتصادي الذي يستطيع أن يحقق الانطلاقة المأمولة [1].

وفي الخطوات التطبيقية لتلك القيم التي أرست قواعدها الإدارة العليا للمجتمع الياباني ممثّلة برجال السياسة وقادة الإصلاح الذين يمثلون -عادةً- نخبة المجتمع، ظهر في المجتمع الياباني عددٌ من الإجراءات العملية التي تعبّر عن بداية الاتجاه نحو العمل المؤسسي كبداية لقيام نهضة شاملة تغيّر الحال الذي كان سائدًا، وكأثرٍ مباشرٍ لفعل القيم التي اعتمدتها الإدارة السياسية العليا، ومن ذلك [2]:

1. صدر وعد بتأسيس الدستور الياباني.
2. رؤية إرادة إمبراطورية بإلغاء الانقسام العائلي القديم.
3. إقرار نظام جديد للتعليم.
4. البدء بالإصلاح الزراعي.
5. إصلاح النظام الضريبي.
6. الإرادة الإمبراطورية بتأسيس مجلس للشيوخ والمجلس الأعلى والبرلمان.
7. إصدار قانون الصحافة في منتصف 1875م.
8. الترخيص للحزب الليبرالي.
9. إنشاء مجلس الوزراء.
10. إعلان دستور الإمبراطورية اليابانية، وقانون الانتخاب للمجلس النيابي في فبراير 1890م، وقانون تنظيم مالية الدولة، وغير ذلك من الإجراءات.

(1) عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص: 208 - 209.

(2) ضاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية: تشابه المقدمات واختلاف النتائج، ص: 222 - 223.

المبحث الثالث: نواحي توجيه الفرد لتحقيق النهضة:

تمهيد: فكرة التوجيه [1]

يقول المفكر مالك بن نبي: ولمّا كان الفرد قادرًا على التأثير في المجتمع بثلاث مؤثرات: الفكر، والعمل، والمال؛ وجب توجيه الفرد في نواحٍ ثلاث: توجيه الثقافة، وتوجيه العمل، وتوجيه رأس المال.

وفكرة التوجيه تعني: قوة في الأساس، وتوافق في السير، ووحدة في الهدف، أي: تكتيل الطاقات وتوجيهها نحو هدف، متجنبين الإسراف في الجهد والوقت، فيتشكّل جهاز هائل من ملايين السواعد والعقول، يتحرّك بدفعة «قيمية» موحدة، تُكسبه معنى الجماعة ومعنى الكفاح.

ووفق هذا التنظير الذي يطرحه مالك بن نبي -رحمه الله- في كتابه شروط النهضة: يتناول الباحث عرض نواحي التوجيه المطروحة مع محاولة تطبيق إسقاطاتها - بقدر الإمكان - على مسار النهضتين: الأوربية واليابانية؛ بكونهما نموذج الدراسة، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: توجيه الثقافة [2]:

والثقافة هي: مجموعة الصفات الخُلقية والقيم الاجتماعية التي يتلّقاه الفرد منذ ولادته كرأس مال أَوْلي في الوسط الذي ولد فيه، فهي: المحيط الذي يشكّل فيه الفردُ طباعه وشخصيته، فهي: ذلك الدم في جسم المجتمع، يغذي حضارته، ويحمل أفكار النخبة كما يحمل أفكار العامة، فالثقافة إذن: نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وهنا يظهر الفرق بين الثقافة والعلم.

وعليه: ولكي نعود بالثقافة إلى وظيفتها الحضارية، يرى مالك بن نبي أنه: لابد من تصفية عادات وتقاليد المجتمع وإطاره االخُلقي والاجتماعي مما فيه من عوامل قتّالة ورمم لا فائدة منها، حتى يصفو الجو للعوامل الحيّة والداعية إلى الحياة، وهذا لا يتأتّى إلا بفكرٍ جديدٍ يحطم التدهور الموروث، ويبحث عن وضع جديد: وضع النهضة، ويكون ذلك بتجديدين متتالين أو مقترنين يعرضهما الباحث في الفرعين التاليين:

(1) ابن نبي، شروط النهضة، ص: 109، (بتصرف واختصار).

(2) ابن نبي، شروط النهضة، ص: 110، (بتصرف واختصار).

الفرع الأول: التجديد السلبي: وهو الذي يقوم بثورة على الموروث الفكري؛ لتصفيته من أسباب التقهقر والتدهور والانحطاط، وليحطّم العلل وينفي الأفكار البالية، وهذا ما قام به الإدارة العليا ونخبة المجتمع الأوربي قبل انطلاقة نهضتها؛ إذ امتلك إنسان النهضة شخصية مستقلة مشكّلا بذلك الخلية الأساسية في المجتمع، وتمتّع بالفردية والجرأة الفكرية واحتقار الضعف والأعراف والتقاليد والخرافات، وتحلّل من سيطرة رجال الدين ودكتاتورية الكنيسة الروحية [1].

وهو ذات التجديد السلبي الذي قام به المجتمع الياباني قبيل انطلاق النهضة اليابانية، والذي بدأ بإعلان الإمبراطور الشاب «موتسوهيتو» نهاية فترة طويلة من العبودية الممرضة؛ لهدم وإزالة كل الفواصل التي تفرّق بين المسؤولين الرسميين والناس العاديين: بين المراتب العليا والمراتب الدنيا، فبدأ تحويل المجتمع من حالة الثبات إلى حالة من الحراك، فتحوّل أعضاؤه إلى أفراد ساعين لتحقيق الذات[2].

الفرع الثاني: التجديد الإيجابي: وهو الذي يضع أساساً فكريًّا واضحًا يرسم للفكرة النهضوية الصافية طريقها، ويخطط للمستقبل بطريقة إيجابية، إنه تجديد للثقافة من خلال تجديد برنامجها التربوي الذي يتّخذه الشعب دستوراً لحياته المثقفة، وتوجيه عناصرها الأربعة: الأخلاق، والجمال، وتوجيه منطق الفكرة إلى منطق عملي، وتوجيه الفن التطبيقي، أو الصناعة بتعبير «ابن خلدون»، والتي تشمل كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم، وتوجيه ذلك للمشاركة في بناء حضارة يكون بنقلها من كونها للفرد وسيلة لكسب عيش وبناء مجد، إلى جعلها وسيلة للمحافظة على كيان المجتمع واستمرار نموه.

وبإسقاط هذا التنظير على التجربتين النهضويتين: الأوربية واليابانية، نجد أن كلاً منهما قد أخذ بمقتضيات التجديد الإيجابي، ووجّه عناصر الثقافة المذكورة توجيهًا مباشرًا وفعَّالا في سبيل الانطلاقة النهضوية المنشودة، ففي أوربا: شكّل عصر النهضة فترة تاريخية حاسمة في الثقافة الأوربية مثّلت فاصلاً جوهريًّا مع العصور الوسطى، والتي صاغت فهمًا حديثًا للبشرية ومكانتها في العالم [3]، فبرزت خصائصه ومظاهره تدريجيًّا، ليسجل القرن السادس عشر تميّزه عن العصور السالفة بأنه بداية العصور الحديثة، وظهر أثر ذلك في الآداب والسياسة والفنون والدين، كما ظهر في أساليب الحياة العامة والخاصة، لتتبلور بعد ذلك آثار النهضة واضحة في مناهج التفكير الإنساني في القرنين السابع عشر

(1) مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوربي: عصر النهضة، ص: 61.

(2) سميث، اليابان: رؤية جديدة، ص:83، (بتصرف بسيط).

(3) بروتون، عصر النهضة، ص: 15 – 16، (بتصرّف).

والثامن عشر[1]، فقام نظام ثقافي جديد يقوم على قاعدة: «قيمة الحريّة»، والتي برزت كقيمة جوهريّة عليا يتوحّد حولها كل أفراد المجتمع، وذلك كردّ فعل طبيعيّ على «قيم» التسلّط والاستبداد، وكبديل لها، وما فتئت هذه القيمة الجوهرية إلا تحولت إلى فلسفة سائدة في الغرب، وقد ركّزت على إطلاق طاقة كلّ فرد فيه[2].

وأما في اليابان: فإن روح التحدّي المخلصة التي وُجدت لدى السلطة الحاكمة الجديدة قبيل النهضة اليابانية كانت أقوى في إخلاصها ووعيها من جميع التحديات، فانتصرت روح التحدّي عندما توفرت الإرادة الحقيقية على كل عوامل التفكك والفقر والتخلّف، فقام عبر اعتناق فلسفة تطلق طاقة الجماعة، فقام بإيجاد واستثمار قيمة المساواة الاجتماعية كقيمة جوهرية توحيدية عليا، ثم اهتدى إلى قيمة التعاون كقيمة جوهرية أخرى، ليضبط من خلالها العلاقات الوظيفية، ولتضمن الانسجام والتوافق في العلاقات داخل المنظمات... فكان التوافق بين هذه القيم وانتظامها في منظومة موحدة ومتكاملة يمثل الأساس الذي تمّ على ضوئه -لاحقاً- تحديد النموذج السياسي والإداري والاقتصادي الذي يستطيع أن يحقق الانطلاقة المأمولة [3].

المطلب الثاني: توجيه العمل [4]:

والعمل ليس عنصرًا أساسيًّا في تكوين الحضارة، ولكنه متولّد منها، وهو وحده الذي يخطّ مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي، وفي المجتمع الناشئ ينظر إلى العمل من الناحية التربوية لا من الناحية الكسبية، إذ أن كلمة أجر تفقد معناها في المجتمع الناشئ؛ لأن العامل لا علاقة له بصاحب عمل، ولكن علاقته بجماعةٍ يشاطرها بؤسها ونعمائها، وعليه: فإن توجيه العمل في مرحلة التكوين الاجتماعي عامة، أي: تسيير الجهود الجماعية في اتجاه واحد، وتأليف كل الجهود لتغيير وضع إنسان، وخلق بيئة جديدة تستطيع أن تعطي كسب العيش لكل فرد، ومن ثم إلى تغيير أحوال معيشة الفرد والاتجاه بها نحو وضعها الطبيعي والعروج به من مستوى إلى مستوى أرفع.

وهذا نجده في النهضة الأوربية عندما ولّدت «قيمة الحرية» التي بنى النموذج الليبرالي الغربي فلسفته عليها قيمًا «تطبيقية» أخرى، كقيمة: التعاون الاجتماعي، والعمل الجماعي، والعمل التطوعي، تلك القيم التي وضعت العمل ضمن إطاره الاجتماعي، ووجّهت جهود

(1) حراز، عصر النهضة: دراسة في الحضارة الأوربية الحديثة، ص80.

(2) عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص202 وما بعدها، (بتصرّف).

(3) عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص: 208 - 209.

(4) ابن نبي، شروط النهضة، ص: 146، (باختصار وتصرّف).

الجماعة في اتجاه واحد، فأثّرت بشكل مباشر في نهضة المجتمعات الغربية [1]، وقد بدا خصوصًا في نموذج النهضة الألمانية التي أذهلت العالم بمعجزة شعب ينبعث من الموت والدمار، ليُنشئ أفخم وأقوى الصناعات الضخمة [2].

وأما في اليابان: فإنّ الأمر الذي لا خلاف فيه هو: أن المجتمع الياباني - قبل تلمّس قيم نهضته الجوهرية وانطلاق نهضته على أساسها - كان مجتمعًا مفككًا جغرافيًّا، ومبعثرًا في عدد كبير من الجزر، وكان متصارعًا اجتماعيًّا، ويعيش حروبًا داخلية بين طبقة الساموراي التي كانت تمثّل الطبقة العليا في المجتمع، وبين فئات المجتمع الأخرى، وكان مجتمعًا ضعيفًا فقيرًا من الناحية الاقتصادية، في افتقار للموارد والثروات الطبيعية[3]، ولكن الناظر في النتائج وما وصلت إليه التجربة النهضوية اليابانية يوقن بأنها نهضة لم تأتِ من فراغ، وإنما كانت وليدة سلسلة من التطورات التي أملتها الظروف البشرية والجغرافية التي أسهمت في بناء الإنسان الياباني الذي قام بعمل جبّار يوضّح قوة الإرادة البشرية التي يمكن أن تسمو فوق كل الصعوبات مهما كبرت [4]، وأن توحيد الجهود، وتوجيه العمل في مرحلة التكوين الاجتماعي هو الأساس في تجاوز الصعوبات وتحقيق النهضة الشاملة.

المطلب الثالث: توجيه رأس المال [5]:

وهنا يميّز مالك بن نبي بين مصطلحي: الثروة، ورأس المال، فهو ينظر إلى رأس المال باعتباره آلة اجتماعية تنهض بالتقدم المادي، وينفصل اسمًا عن صاحبه ليصبح قوة مالية مجردة، وأما الثروة فتُلقّب بلقب صاحبها، وهو يستخدمها في ميدانه الخاص؛ وهذا قيد يمنعها من الترقي إلى مستوى رأس المال، وعليه: فإن معنى رأس المال هو في جوهره: «المال المتحرك» الذي يتسع مجاله الاجتماعي بمقتضى حركته ونموه في محيط أكبر من محيط الفرد.

ويكون توجيه رأس المال - برأي مالك بن نبي - بالانتقال من تكديس الثروة إلى تحريك المال وتنشيطه بتوجيه أموال الأمة البسيطة، وذلك بتحويل معناها الاجتماعي من أموال كاسدة إلى رأس مال متحرك ينشّط الفكر والعمل والحياة في البلاد، مع الحرص على أن تكون الأموال مطبوعة بطابع الديمقراطية، لا بطابع الإقطاعية، فلا يكون مكان

(1) عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص203، (بتصرّف).

(2) ابن نبي، شروط النهضة، ص189.

(3) عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص: 208.

(4) الجميلي، جذور نهضة اليابان، ص: 9 وما بعدها (بتصّرف واختصار).

(5) ابن نبي، شروط النهضة، ص: 150، (بتصرّف واختصار).

فيه لتركيز رؤوس الأموال في أيدي فئة قليلة تستغل السواد الأكبر من الشعب، وقد ظهر ذلك تطبيقًا في عصر النهضة الأوربية بناءً على التبدلات الفكرية التي غيّرت مفاهيم العصور الوسطى، فقامت مفاهيم جديدة على أنقاض المفاهيم الإقطاعية التي كانت سائدة [1]، والتي تُركّز الثروات عادةً في أيدي فئة الإقطاعيين والمتنفّذين، فانتقلت الثرورة بفعل الثورة والتغيرات الاجتماعية والفكرية المرافقة إلى رأس مال وطني ذي معنًى اجتماعي ينشّط الفكر والعمل والحياة في البلاد، فتبدّلت على أثره حضارة أوربا بكاملها... ونمت ظواهره بصوره الأدبية والفنية والعلمية في أوساط المتموّلين الأثرياء، وفي ظل الملوك الذين استطاعوا فرض مجتمع جديد وهو في عزّ توسعه الاقتصادي [2].

وأما توجيه رأس المال في التجربة النهضوية اليابانية: فيمكن القطع به من النتائج التي حققتها النهضة اليابانية في الجانب الاقتصادي في نقل المجتمع الياباني المفتقر للموارد والثروات الطبيعية، والضعيف جداً آنذاك من الناحية الاقتصادية، إلى مجتمع يضاهي -وقد يتفوّق على– المجتمعات الغربية المتقدمة؛ إذ كانت المرحلة الممتدة من 1868م حتى 1885م بمثابة مرحلة انتقالية في تاريخ اليابان ما بين سيادة النظم التقليدية القديمة: «مجتمع طبقي يعتمد على الزراعة»، واستيعاب النظم الغربية الحديثة والعمل على توظيفها في خدمة أيديولوجيا التحديث اليابانية القائمة على قيم المساواة الاجتماعية، لتحقيق: «جيش قوي لياباني غنية»[3]، وما كان ذلك ليكون ويستمر بدون توجيه رأس المال وتحويل الثروة إلى رأس مال متحرك يساهم بفاعلية في قيام النهضة اليابانية.

المبحث الرابع: أوجه التوافق والتباين بين التجربتين الأوربية واليابانية، ومدى استفادة الدول العربية والإسلامية منهما، ويتناول الباحث عرضه باختصار في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: خلاصة المقارنة بين التجربتين الأوربية واليابانية، ويعرضه الباحث من جانبين في الفرعين التاليين:

الفرع الأول: الجانب القيمي: لقد بحثت نُخب وإدارة كلا المجتمعين عن قيمة جوهرية موحّدة للمجتمع، تكون نابعة من ثقافته، موافقة لبيئته؛ لتكون أساسًا في توحيده، ومنطلقًا له في نهضته، وقد أثبت البحث ما يلي:

أولًا- إنّ القيمة الجوهرية التوحيدية العليا التي قام عليها نموذج النهضة الأوربية هي:

(1) مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوربي: عصر النهضة، ص: 61.

(2) حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوربية، ص: 75 - 76، (باختصار).

(3) ضاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية: تشابه المقدمات واختلاف النتائج، ص: 226 - 227، (بتصرف).

قيمة «الحرية»، وقد كانت بمثابة الردّ المجتمعي على معاناته لقرون مديدة من التسلط والاستبداد والتعسّف الكنسي الديني الذي حطّ من كرامة الإنسان.

ثانيًا- أن القيمة الجوهرية التوحيدية العليا التي قامت عليها النهضة اليابانية كانت: قيمة «المساواة»؛ إذ واجهت بها الإدارة العليا للمجتمع ونخبته وضعًا اجتماعيًّا طبقيًّا بائسًا كان سائدًا آنذاك، كانت تسود فيه طبقة الساموراي.

ثالثًا- أن القيمة الجوهرية التي اهتدى إليها المجتمع الأوربي قد ولّدت قيمًا تطبيقية، أهمّها: قيمة التعاون الاجتماعي، وقيمة العمل الجماعي، وقيمة العمل التطوعي، وقيمة الاقتصاد في الجهاز الإداري، وقيمة الاقتصاد في التكاليف.

رابعًا- أن قيمة المساواة التي اهتدى إليها المجتمع الياباني كقيمة جوهرية عليا، أسست لإخضاع الشخصية الفردية للجماعة، وإخضاع الخاص للعام، فتولّد من ذلك جملةً من المفاهيم والمبادئ التي تضمن التنظيم الجماعي، وكانت بمثابة القيم التطبيقية المنظّمة للمجتمع، أهمّها: العدالة، والنظام، والتعاون، وأمثالها، من المقدسات في المجتمع الياباني، حتى سميّت ضمن المقدّسات بـ: المفاهيم الحميدة.

الفرع الثاني: جانب الإدارة العليا والنخبة ودورهما في توجيه المجتمع نحو النهضة:
أثبتت الدراسة بأنه كان للإدارة العليا ونخبة كلا المجتمعين الأوربي والياباني دورٌ في توجيه المجتمع نحو النهضة وفق مسارات ثلاثة، توافقت كلٌّ منها مع بيئة وقيم كل واحد منها، ويعقد الباحث المقارنة بينها موضحاً لمواطن توافقها وتباينها في النقاط التالية:

أولاً: في توجيه الثقافة: لقد ظهر دور الإدارة العليا ونخبة المجتمع الأوربي في توجيه ثقافة المجتمع جليًّا في الآداب والسياسة والفنون والدين، كما ظهر أثر ذلك في أساليب الحياة العامة والخاصة، لتتبلور بعد ذلك آثار النهضة واضحة في مناهج التفكير الإنساني، فقام نظام ثقافي جديد يقوم على قاعدة: «الحريّة كقيمة جوهرية»، وما فتئت هذه القيمة الجوهرية إلا تحولت إلى فلسفة سائدة في الغرب، وقد ركّزت على إطلاق طاقة كلّ فرد فيه.

في حين أنّ روح التحدّي المخلصة التي وُجدت لدى السلطة الحاكمة الجديدة قبيل النهضة اليابانية ونخبتها كانت أقوى في إخلاصها ووعيها من جميع التحديات، فقامت عبر اعتناق فلسفة تطلق «طاقة الجماعة» بإيجاد واستثمار قيمة «المساواة» الاجتماعية كقيمة جوهرية توحيدية عليا وجّهت ثقافة المجتمع؛ لتضبط من خلالها العلاقات الوظيفية، ولتضمن الانسجام والتوافق في منظومة موحدة ومتكاملة يمثل الأساس الذي تمّ على ضوئه -لاحقًا- تحديد النموذج السياسي والإداري والاقتصادي الذي استطاع أن يحقق الانطلاقة، ومن ثم النهضة التي أبهرت العالم.

ثانياً: في توجيه العمل: وهذا نجده في النهضة الأوربية عندما ولّدت «قيمة الحرية» التي بنى النموذج الليبرالي الغربي فلسفته عليها قيماً «تطبيقية» أخرى، كقيمة: التعاون الاجتماعي، والعمل الجماعي، والعمل التطوعي، تلك القيم التي وضعت العمل ضمن إطاره الاجتماعي، ووجّهت جهود الجماعة في اتجاه واحد، فأثّرت بشكل مباشر في نهضة المجتمعات الغربية.

وأما في اليابان: فإنّ الناظر في النتائج التي وصلت إليه التجربة اليابانية يوقن بأنها نهضتها كانت وليدة سلسلة من التطورات التي أملتها الظروف البشرية والجغرافية القاسيتين، فأسهمت في بناء الإنسان الياباني الذي قام بعمل جبّار يوضّح قوة الإرادة البشرية التي يمكن أن تسمو فوق كل الصعوبات مهما كبرت، وأنّ توجيه العمل الذي قامت به إدارة المجتمع ونخبته في مرحلة التكوين الاجتماعي هو الأساس في تجاوز الصعوبات وتحقيق النهضة.

ثالثاً: في توجيه رأس المال: أثبتت الدراسة أثر توجيه رأس المال في عصر النهضة الأوربية، بناءً على التبدلات الفكرية -والتي شاركت بها الإدرة العليا متمثلة بالملوك ونخبة المجتمع- التي غيّرت مفاهيم العصور الوسطى، حيث قامت مفاهيم جديدة على أنقاض المفاهيم الإقطاعية، والتي تُركّز الثروات عادةً في أيدي فئة الإقطاعيين والمتنفّذين، فانتقلت الثروة بفعل الثورة والتغيرات الاجتماعية والفكرية المرافقة إلى رأس مال وطني ذي معنىً اجتماعي ينشّط الفكر والعمل والحياة في البلاد، فتبدّلت على أثره حضارة أوربا بكاملها، وقامت نهضتها.

وأما توجيه رأس المال في التجربة النهضوية اليابانية: فيمكن القطع به من النتائج التي حققتها النهضة اليابانية في الجانب الاقتصادي في نقل المجتمع الياباني المفتقر للموارد والثروات الطبيعية، والضعيف جداً آنذاك من الناحية الاقتصادية، إلى مجتمع يضاهي المجتمعات الغربية المتقدمة، حيث نقلته من «مجتمع طبقي يعتمد على الزراعة»، إلى مجتمع استطاع استيعاب النظم الغربية الحديثة وعمل على توظيفها في خدمة أيديولوجيا التحديث اليابانية القائمة على قيم المساواة الاجتماعية، فقامت الإدارة الراشدة للمجتمع الياباني بذلك بتحويل الثروة المبعثرة إلى رأس مال متحرك ساهم بفاعلية في قيام النهضة اليابانية.

المطلب الثاني: مدى استفادة الدول العربية والإسلامية من تجربة النهضتين الأوربية واليابانية في نموذجين

الفرع الأول: النموذج الأول: «نجاح النهضة الماليزية»

احتلّت بريطانيا ماليزيا وأقامت فيها نحوًا من قرن ونصف، وفي عام 1957م نالت ماليزيا استقلالها، وهي في حالة مزرية من الفقر، ومصادر محدودة من المواد الأولية، كالقصدير والمطاط، وموروث بائس من الانقسام الديني والعرقي تحوّل في عام 1969م إلى صراع محموم، وتوالت على إدارة البلاد أربع حكومات، كان آخرها في عام 1971م،

حكومة رئيس الوزراء الذي سُمّي: باني نهضة ماليزيا: مهاتير محمد، ذاك المولود لأسرة فقيرة في (20يونيو 1925م)، والذي حوّل ماليزيا من دولة تشكو الفقر والجوع والتخلف إلى دولة على خطى قليلة من العالم المتقدم، ويعرض الباحث استراتيجية مهاتير محمد - كنموذج وممثل لنخبة المجتمع وإدارته العليا الراشدة- في محاكاة النهضتين الأوربية واليابانيةً في النقاط التالية مستقيًا المعلومات على وجه الإجمال باختصار شديد من مذكراته[1]:

أولًا- القراءة التاريخية والجغرافية والاجتماعية للمجتمع الماليزي: لقد قرأت الإدارة الراشدة الجديدة عشرات الكتب والوثائق التاريخية التي تحدّثت عن التاريخ الملايوي، وذلك بقصد فهم طبيعة الشعب، ومعاينة أصولهم والمراحل التاريخية التي مرّوا بها، ولمعرفة حضاراتهم ونقاط تميزهم، وأنظمة الحكم التي توالت عليهم، والديانات التي كانوا عليها قبل انتشار الإسلام في ربوعهم، والنظام الاجتماعي الذي كان يحكمهم، والاطلاع على ثقافتهم وتطوّرها ومراحلها، ومدى احتكاكهم بالشعوب الوافدة عليهم عبر أهم موانئهم، ومدى استفادتهم من الثقافات الوافدة عليهم.

ثانيًا- تشخيص معضلة الملايويين: إن القراءة العميقة لتاريخ وجغرافية والطبيعة الاجتماعية للإدارة الراشدة قادت صاحب القرار إلى تشخيص المعضلة التي يعاني منها المجتمع الماليزي، والتي يختصرها مهاتير محمّد بقوله: لقد لاحظت أن الملايويين لا يزاولون التجارة، والتي كان الهنود والصينيون يسيطرون عليها، كما أنهم لا ينخرطون في الأعمال المهنية والصناعية، حتى بدا أنهم قد اقتنعوا بكونهم فقراء، ولا ينبغي لهم محاولة حيازة بعض ثروة بلادهم، وقد ألقيت باللوم في ضعف أداء الملايويين المزمن على العوامل الوراثية، والمعاهد التعليمية الضعيفة، وسياسات حكومات الاستعمار وممارساتها... ومن دواعي أسفي أني لاحظت بأن أكثر جذور المشكلة كامنة في الملايويين أنفسهم.

ثالثًا- تحديد منطلقات النهضة وتوجهاتها: لقد وجد مهاتير محمد أنّ القصور الذي تعاني منه الدولة لا يرجع فقط إلى طبيعة الشعب الماليزي؛ بل إلى قصور في عملية التعليم أيضًا، وإلى وجوب اكتساب اللغة الإنجليزية لإمكانية مواكبة التطور العالمي والتفاعل من خلالها مع العالم الآخر، كما لاحظ مهاتير محمد أيضًا أنه ليس دائمًا ما يكون النموذج الغربي هو مثال التقدم؛ فأزمع على الأخذ منه فقط ما يتناسب مع طبيعة الدولة وطبيعة الشعب، فرفض تطبيق الديمقراطية الغربية، ورفض أن يكون تحت إذلال البنك الدولي من أجل إنقاذ ماليزيا من الأزمات الاقتصادية، كما لاحظ أنه في مرحلة ما

(1) مهاتير محمد، طبيب في رئاسة الوزراء: مذكرات الدكتور مهاتير محمد، ترجمة: أمين الأيوبي، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2014م)، ط1، ص: 65 وما بعدها، (باختصار شديد).

بعد الحرب -ورغم هزيمتهم- استطاع اليابانيون أن يستعيدوا عافيتهم بسرعة كبيرة جدًّا، وكان ذلك دليلًا عنده على صحّة منهجهم بالنهوض، فقرر أن عليهم أن يتوجّهوا إلى اليابان أيضا ليتعلموا من تجربتهم وكيف طوروا بلدهم، وما هي نظرتهم إلى العمل، وما هي سياستهم وفلسفتهم؟ حتى قال قولته المشهور: «إذا أردتُ أن أصلي فسأتوجه إلى مكة، وإذا أردت المعرفة فسأتوجه إلى اليابان»، فوضع نهجا «خاصًا» بالشعب الماليزي، وهو أسلوب متأثر بما قام به اليابانيون وما تعلموه من أوروبا.

رابعًا- النتائج: لقد تحولت ماليزيا في غضون ثلاثة عقود من دولة زراعية تعتمد على إنتاج المواد الأولية وتصديرها إلى دولة صناعية متقدمة يسهم قطاعي الصناعة والخدمات فيها بنحو 90% من الناتج المحلي الاجمالي، وتبلغ نسبة صادرات السلع المصنعة 85% من إجمالي الصادرات، وتنتج 80% من السيارات التي تسير في الشوارع الماليزية.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التطور أن انخفضت نسبة السكان الذين كانوا يعيشون تحت خط الفقر من 52 % من إجمالي السكان في عام 1970، أي أكثر من نصفهم، إلى 5 % فقط في عام 2002، وارتفع متوسط دخل المواطن الماليزي من 1247 دولارا في عام 1970 إلى 8862 دولارًا في عام 2002، أي أن دخل المواطن زاد لأكثر من سبعة أمثال ما كان عليه منذ ثلاثين عامًا، وانخفضت نسبة البطالة إلى 3%.

الفرع الثاني: النموذج الثاني: «فشل التجربة العربية»

(إنّ ما يحلّ بالأمة العربية من تراجعات، ليست كوارث لا تفسير لها، وليست عجزًا ذاتيًّا لا حلّ له، أو تقصيرًا خلقيًّا، أو أشبه مما يرد في البكائيات المنتشرة هذه الأيام؛ إنما هو نتيجة طبيعية منطقية لتكوين تاريخي معين ورثته المجتمعات العربية قرونًا سلفت: كانعدام روح التماسك بين الأفراد والجماعات في الوطن العربي ككل، وغياب سوق قومية موحدة، ونظام تربوي متجانس... وما إلى ذلك من عوامل لا بد منها لتماسك الأمة في وجه التحديات، وأهم من ذلك: تحدي استيعاب الحضارة الحديثة بكل مشكلاتها) [1]... بهذه الكلمات يلخّص محمد عابد الجابري أسباب فشل النهضة العربية، وسيعمل الباحث على تلخيص الأسباب في النقاط التالية:

أولًا- ضياع الهوية وغياب القيم التوحيدية: مما لا شكّ فيه: هو أن رفعة العرب لا تكون إلا بوحدتهم، ومما لا شكّ فيه أيضاً فإن العرب لم تتم لهم وحدة فاعلة في مسار الحضارة الإنساني إلا من خلال الهوية الإسلامية، والهوية التي تم تمزيقها معنوياً وجغرافياً، أدى بها إلى غياب المشروع التوحيدي المبني على قيم الدين الإسلامي، (مما

(1) محمد جابر الأنصاري، العالم والعرب، (بيروت: دار الآداب، 2000م)، ط1، ص:86.

أدى إلى فشل ذريع في التوحيد القومي، وفشل في التنمية كأحد مؤشرات ومعايير النهضة، الأمر الذي أنتج نتائج سلبية تهدد مستقبل العرب ونهضتهم على جميع الصعد) [1].

ثانيًا- غياب الممارسة الديمقراطية الحقيقية وتعطيل مؤسسات المجتمع المدني: يواجه النظام الإقليمي العربي في عصر العولمة مأزق الشرعية، وغياب الديمقراطية الحقيقية، وتحكّم العسكر بالسياسة، وحدّة الشعور «المحلي» على حساب الشعور القومي الشمولي، وتهميش دور مؤسسات المجتمع المدني، وسيطرة الحزب الواحد على أجهزة الدولة وهيمنته على مؤسساتها، وقمع الحريات، ومصادرة الحقوق، ومحاولة الاستقرار بالاعتماد على القمع السلطوي، والترهّل السياسي للأحزاب والنقابات، وبات همُّ النخب البقاء في السلطة واسترضائها؛ وما من شكّ بأن هذا المنحى ألغى كل أشكال الديميقراطية والأمل في التغيير، وأدّى إلى تحويل القوانيين إلى مجرد «ديكور»، وإلى تنمية مشوّهة، وخلل اجتماعي متفاقم، ومزيدٍ من البطالة، وهدر للطاقات والموارد[2].

ثالثًا- طبيعة النظام التعليمي وتجاهل التجارب النهضوية: إن أي أمةٍ تخطط لنموها ونهضتها لا بد وأن تحرص في انطلاقتها على التعليم بمختلف مستوياته، ولا عجب أن ينسب لقطاع التعليم في كل من ألمانيا واليابان فضل الإنجاز والريادة والنهضة الصناعية التي أبهرت العالم، والتي لم تحاول الدول العربية متفرقة ولا مجتمعة محاكاتها وتقليدها رغم وفرة الإمكانات المادية لفعل ذلك... وإنّ نظرة فاحصة لعناصر التعليم وواقعه في المنظومات التعليمية العربية، ستظهر لنا جوانب الخلل والنقص والعجز التي تكتنفه، ومنها: اعتماد التعليم على السرد، وخلوّه من الحوار، وغياب منهج الإبداع والتفاعل مع الفكرة [3]، فضلا عن غياب نسبيّ لمراكز البحث العلمي، وضعف كبير في تمويلها والإنفاق عليها.

(1) مسعود ضاهر، النهضة اليابانية المعاصرة، الدروس المستفادة عربياً، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002م)، ط1، ص: 342، (بتصرف).

(2) مسعود ضاهر، النهضة اليابانية المعاصرة، الدروس المستفادة عربياً، ص: 352، وما بعدها (باختصار شديد).

(3) عبد الرحمن المشيقح، التفوق الياباني وملامح التجربة العربية، ص: 93 وما بعدها (باختصار وتصرّف شديد).

الخاتمة:

أخيرًا: يضع الباحث قلم التنقّل بين الكتب بتقديم خاتمة لبحث أخذ من وجدانه أكثر من وقته؛ لأنه -برأي الباحث- ولد من معاناة حقيقية، وحاجة ماسّة إلى تلمّس خطا النهضة والقيام بالدور الحضاري لأمّة أمسكت بدفة الحضارة الإنسانية ردحًا من الزمن، ثم تراجعت بتنازلها عن أسباب الريادة الإنسانية، وقد حان الوقت للنهوض من جديد والانخراط في ركب الحضارة الحديثة، ولا سبيل إلا بالأخذ بالأسباب والاعتبار من التاريخ، والاستفادة من تجارب الناجحين.

لقد عرض في مقدمات بحثه العقبات التي تحول دون نهضة بعض الشعوب، وألقى الضوء على مدى قدرتها على الاستفادة من التجارب النهضوية السابقة، ثم عرّف بالقيم، والقيم الجوهرية باعتباها الأساس الفكري لتوحيد المجتمعات كلاً وفق ثقافته وبيئته، عرض لقيم النهضة الأوربية، ودور الإدارة العليا في إيجادها وتوظيفها في النهضة، وذلك من خلال عرض النموذج الليبرالي (الغربي) الذي اعتمدته المجتمعات الأوربية في نهضتها، ليأتي بعدها على عرض قيم النهضة اليابانية، ودور الإدارة العليا في إيجادها وتوظيفها في النموذج الياباني، ثم عرض الباحث لنواحي توجيه أفراد المجتمع في سبيل تحقيق النهضة، والتي نظّر لها المفكر الإسلامي: مالك بن نبي في كتابه: شروط النهضة، ثم قام الباحث بإسقاط النظرية على التطبيقات النهضوية في التجربتين الأوربية واليابانية، لينهي بحثه بالمقارنة بين التجربتين الأوربية واليابانية؛ لاستخلاص أوجه التباين والتوافق بينهما، ثم عرض باختصار شديد لمدى استفادة بعض الدول العربية والإسلامية من التجربتين في نموذجين مختلفين: «النموذج الماليزي، والنموذج العربي»، ليخلص بعدها إلى عرض نتائج الدراسة، والتوصيات فيما يلي:

أولاً- نتائج الدراسة: وقد وصلت الدراسة إلى نتائج عديدة، أهمّها:

1. أنّ النهضتين: الأوربية واليابانية، قد قامتا على قيمة جوهرية توحيدية عليا خاصّة بكلٍ منهما، وأنها نبعت من ثقافة وطبيعة وظروف بيئة مجتمعها.
2. أنّ القيمة الجوهرية التوحيدية العليا التي قام عليها نموذج النهضة الأوربية هي: قيمة «الحرية»، في حين أن القيمة الجوهرية التوحيدية العليا التي قامت عليها النهضة اليابانية كانت: قيمة «المساواة».
3. أن قيمة الحرية التي اهتدى إليها المجتمع الأوربي كقيمة جوهرية توحيدية عليا، كانت ردًّا على معاناة المجتمع من قرون التسلط والاستبداد والعسف الكنسي الديني، في حين كانت قيمة المساواة في المجتمع الياباني قيمة جوهرية توحيدية

عليا واجهت بها الإدارة العليا للمجتمع ونخبته المجتمع الطبقي الذي كان سائداً آنذاك، والذي كانت تسود فيه طبقة الساموراي.

4. أنّ النهضة مشروع يبدأ بأفكار، وقد يحتاج لأجيال حتى يتمّ ويستوي على سوقه ويؤتي أُكله، وأنها حركة فكرية عامة، تشمل مجالات الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع، وأنّ النجاح الاقتصادي وحده ليس نهضة، وإنما هو أحد مؤشرات ومعايير نجاح التنمية.

5. أنّ للإدارة العليا أو «الإدارة السياسية» للمجتمع دورًا فاعلاً ومؤثرًا في إيجاد وتوظيف القيم المجتمعية التوحيدية التي تسهم في جمع الأفراد حولها، وتوجيههم من خلالها إلى نهضة المجتمع.

6. أن نجاح أي نهضة لا بد له من: استعداد النخبة للتضحية في سبيل إحداث التغيير في الأفكار والعادات والتقاليد والموروث الفاسد، وإرادة حقيقية من الإدارة العليا في دعم التغيير والنهوض حقيقة بالمجتمع.

7. أن استقراء النهضتين: الأوربية واليابانية خلُص إلى معادلة رياضية كادت تتطابق في مجرى التجربتين، وهي: خلل في التركيبة الاجتماعية، يصحبه اضطراب سياسي وتخلف اقتصادي يولّدان صراعًا يدفع النخبة الواعية والإدارة العليا الراشدة إلى إيجاد أفكار يتمخّض عنها قيمة جوهرية توحيدة عليا متوافقة مع ثقافة المجتمع ونابعة منه، يتبعها توجيه للثقافة وللعمل ولرأس المال نحو النهضة، وفق خطط واستراتيجيات محددة.

8. أنّ على الإدارة العليا الطامعة في نهضة شعوبها توجيه أفراد مجتمعاتها إلى نواحي معينة، يمكن من خلالها تحقيق نهضة مجتمعاتها، وذلك من خلال توجيه: الثقافة، والعمل، ورأس المال.

9. أنّ محاكاة التجارب النهضوية الناجحة في المجتمعات المتخلفة وفق قيمها النابعة من بيئتها الثقافية ومعتقداتها، قابلة للنجاح إن تهيأت لها الإدارة العليا الراشدة والنخبة الصادقة، وهذا ما أثبتته دراسة النموذج الماليزي.

10. أثبت البحث صدق فرضيته القائلة: بإمكان قيام نهضة شاملة لأيّ من المجتمعات المنكوبة والمتخلفة، إذا توفّرت لها الإدارة السياسية النزيهة المؤهلة فكريًّا ومهنيًّا، إن عملت تلك الإدارة بجدٍ وإخلاص على إيجاد قيم توحيدية نابعة من طبيعة وثقافة وبيئة وتاريخ مجتمعاتها، ودأبت بحق وصدق على توظيفها في نهضة مجتمعية شاملة، والنهضة الماليزية خير دليل على ذلك.

11. أنّ فشل التجربة العربية في تحقيق النهضة عائد إلى مجموعة من الأسباب والعقبات، ومن أهمّها: ضياع الهوية وغياب القيم التوحيدية، غياب الممارسة الديمقراطية الحقيقية وتعطيل مؤسسات المجتمع المدني، وطبيعة النظام التعليمي وتجاهل التجارب النهضوية.

ثانياً: التوصيات: وفي الختام يتوجّه الباحث إلى المهتمين بالنهضة، والباحثين في أسبابها ومقاصدها، وإلى الإدارات العليا للمجتمعات «النامية» وأصحاب القرار بالتوصيات التالية:

1. ضرورة دراسة مسارات نهضة المجتمعات المتقدّمة وتحليليها لمحاكاتها ولاستفادة من التجارب السابقة في نهضة الشعوب النامية.
2. اكتشاف القيم التي قامت عليها النهضات وظروف نشأتها، والبحث في القيمة التي يمكن يجتمع عليها أفراد المجتمع النامي كقيمة جوهرية توحيدية عليا.
3. الانطلاق بالنهضة من التجديد السلبي القاضي بهدم كل موروثٍ باطلٍ يقف عائقًا أمام نهضة الشعوب.
4. الاجتهاد في تكريس ثقافة النهضة وإشاعتها بين الأفراد، والجد في توجيه الثقافة، وتوجيه العمل، وتوجيه رأس المال، بما يخدم نهضة المجتمع.
5. دراسة دور الإدارات العليا في إيجاد القيم وتطبيقها، والضغط على من بيده القرار من أجل التغيير والنهضة المجتمعية الشاملة.

قائمة المصادر والمراجع:

الإفريقي، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي (1818هـ). لسان العرب (ط3). دار صادر. مركز دراسات الوحدة.

باتريك سميث، اليابان (2001). رؤية جديدة (ترجمة سعد زهران). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. مجلة عالم المعرفة، 268.

بروتون، جيري (2014). عصر النهضة مقدمة قصيرة (ترجمة إبراهيم البيلي محروس). مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

الجميلي، غانم علون (2014). جذور نهضة اليابان. مؤسسة العبيكان للنشر.

حاطوم، نور الدين (1968). تاريخ عصر النهضة الأوربية، الموسوعة التاريخية الحديثة. دار الفكر المعاصر.

حامد، خالد (2008). منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية. دار جسور للنشر والتوزيع.

حراز، السيد رجب (1974). عصر النهضة دراسة في الحضارة الأوربية الحديثة. دار النهضة العربية للنشر.

دويدري، رجاء وحيد (د.ت.). البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية. دار الفكر المعاصر.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1994). مختار الصحاح. (تحقيق أحمد شمس الدين). دار الكتب العلمية.

سلطان، جاسم (2005). استراتيجية الإدراك للحراك من الصحوة إلى النهضة مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة. مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع.

ضاهر، مسعود (1999). النهضة العربية والنهضة اليابانية تشابه المقدمات واختلاف النتائج. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سلسلة كتب عالم المعرفة.

ضاهر، مسعود (2002). النهضة اليابانية المعاصرة الدروس المستفادة عربيا.

عساف، عبد المعطي (2013). النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة *Theory I*، نظرية الإدارة بالقيم *MBV*. دار زهران للنشر والتوزيع.

عقيل، حسين (1999). فلسفة مناهج البحث العلمي. مكتبة مدبولي.

العيسوي، عبد الفتاح محمد. والعيسوي، عبد الرحمن محمد (1997). مناهج البحث في الفكر الإسلامي والفكر الحديث. دار الراتب الجامعية.

محمد، مهاتير (2014). طبيب في رئاسة الوزراء مذكرات الدكتور مهاتير محمد (ترجمة أمين الأيوبي). الشبكة العربية لألبحاث والنشر.

مخزوم، محمد. (1983). مدخل لدراسة التاريخ الأوربي عصر النهضة. دار الكتاب اللبناني.

مركز صناعة الأفكار للاستشارات مفهوم القيم والثوابت والمتغيرات. com.alafkarc

المشيقح، عبد الرحمن بن صالح (1996). التفوق الياباني ومالمح التجربة العربية (ط2). مكتبة العبيكان للنشر.

بن نبي، مالك (2012). مشكالت الحضارة شروط النهضة (ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين). دار الكتاب المصري.

هيز، كارلتون (1962). الثورة الصناعية ونتائجها السياسية والاجتماعية (تعريب أحمد عبد الباقي) (ط2). منشورات مكتبة المثنى.

Romanization Arabic References: الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية:

al'ifrīqiyyu muḥammada bn mukarramu bn 'aliyyu bn manẓūru al'anṣāriyyi al-rīf'y 1818.(ه lisāna al'arabi ṭ dāra ṣādira markazu dirāsāti alwaḥdati

bātiriyyuka smīthan alyābāna 2001). ru'yata jadydatin tarjamata sa'di zahrāni almajlisa alwaṭaniyya lil-thaqāfati wa-al-funūni wa-al-'ādābi majallatu 'ālami alma'rifati 268.

burwtūnun jīray 2014). 'aṣra al-nahḍati muqaddamata qaṣīrata tarjamata 'ibrāhym albīliyya maḥrūsa mu'assasata hindawiyyin lil-ta'līmi wa-al-thaqāfati

aljamīliyyu ghānima 'alawna 2014). judhūra nahḍati alyābāni mu'assasatu al-'bykān lil-nashri

ḥāṭwmun nūra al-dīni 1968). tārīkha 'aṣri al-nahḍati al-'wrbyah almawsū'ata al-tārīkhiyyata alḥadythata dāru alfikri almu'āṣiri

ḥāmidun khālida 2008). manhajiyyata albaḥthi fī al'ulūmi alijtimā'iyyati wa-al-'insāniyyati dāru jusūrin lil-nashri wa-al-tawzī'i

ḥrāz al-sayyida rajaba 1974). 'aṣra al-nahḍati dirāsatan fī alḥaḍāarti al-'wrbyah alḥadythata dāru al-nahḍati al'arabiyyati lil-nashri

dīdry rajā'a waḥīda d t). albaḥthu al'ilmiyyu 'asāsiyyātihi al-naẓariyyati wamumārasatihi al'amaliyyati dāru alfikri almu'āṣiri

al-rāziyyu muḥammada bn 'abī bikri bn 'abdi alqādiri 1994). mukhtāra al-ṣiḥāḥi (taḥqīqun 'aḥamida shamsu al-dīni dāra alkutubi al'ilmiyyati

sulṭānun jāsima 2005). astrātyjyah al'idrāka lil-ḥarāki mina al-ṣaḥwati 'ilā al-nahḍati mashrū'a al-nahḍati silslata 'adawāti alqādati mu'assasatun 'ami alqurā lil-tarjamati wa-al-tawzī'i

ḍāhirun mas'ūda 1999). al-nahḍata al'arabiyyata wa-al-nahḍata alyābāniyyata tushābihu almuqaddamātu wikhtilāafu al-natā'iji almajlisu alwaṭaniyyu lil-thaqāfati wa-al-funūni wa-al-'ādābi silslata kutubi 'ālami alma'rifati

ḍāhirun mas'ūda 2002). al-nahḍata alyābāniyyata almu'āṣirata al-durūsa almustafādata 'arabiyyan

'assāfun 'abda al-m'ṭy 2013). al-naẓariyyata al'islāmiyyati al'ilmiyyati fī al'idārati Theory I، naẓariyyata al'idārati bi-al-qym dāra zahrāni lil-nashri wa-al-tawzī'i

'qyl ḥissayni 1999). falsafata manāhiji albaḥthi al'ilmiyyi maktabatu mdbwly

al'īsawiyyu 'abda alfattāḥi muḥammadun wa-al-'īsawiyyu 'abda al-Raḥmāni muḥammada 1997). manāhija albaḥthi fī alfikri al'islāmiyyi wa-al-fikri alḥadythi dāru al-rātibi aljāmi'iyyati

muḥammadun mahātīra 2014). ṭabībun fī r'āsah alwuzarā'a mudhakkarātu al-duktwri mahātīra muḥammada tarjamata 'ummayni al-'yūby al-shabakata al'arabiyyata l'lbḥāth wa-al-nashra

mkhzwm muḥammadun (1983). madkhalun lidirāsati al-tārīkhi al-'wrby 'aṣra al-nahḍati dāru alkitābi al-lubnāniyyi

markazu ṣinā'ati al'afkāri lil-istishārāti mafhūma alqayyimi wa-al-thawābiti wa-al-mutaghayyirāti com. alafkarc

al-mshyqḥ 'abda al-Raḥmāni bn ṣāliḥu 1996). al-tafawwuqa alyābāniyya wmālmḥ al-tajribata al'arabiyyata ṭ maktabata al-'bykān lil-nashri

bn nabiyyin mālaka 2012). mshkālt alḥaḍāarta shurūṭa al-nahḍati tarjamata 'umuri kāmili msqā'ī wa'abda al-ṣabūri shāhayni dāra alkitābi almiṣriyyi

hyz kārltūna 1962). al-thawrata al-ṣinā'iyyata wanatā'ijahā al-sīāsiyyata wa-al-ijtimā'iyyata ta'rībun 'aḥamida 'abdu albāqiyyi ṭ manshūrātin muktibatin almuthannā

The Impact of Values on the Advancement of Society and the Role of Senior Management in Finding These Values and Orienting Society toward Them: European and Japanese Renaissance as a Model

Mohammad Charif Mchwh[1]

Abstract:

The study aims to introduce the core values of the European and Japanese Renaissance, and demonstrate the role of the senior management (Political Administration and the Elite) in finding and applying social values for the Renaissance of the society. In addition, it clarifies the reasons behind Renaissance failure in other societies.

The researcher uses the descriptive, inductive, historical, and analytical approaches in tracking and analyzing the Renaissance modules.

The study draws many important conclusions, which are societies have unifying core values that encourage them to reach the highest levels of advancement; "freedom" is the value the European renaissance was built upon; and "equality" is the value upon which the Japanese renaissance was built. The role of these values is significant when political administrations and the elite adopt them.

The researcher recommends studying the tracks of advanced societies' renaissance, discovering the values they were based on and their emergence circumstances, and studying the role of their senior managements in finding and applying such values, while benefiting from previous experiences in the developing nations' renaissance.

Keywords: Values, Management, Senior Management, Renaissance, European Renaissance, Japanese Renaissance.

(1) Islamic Studies Academy - University of Malaya (Kuala Lumpur - Malaysia)
msk69@outlook.ae